ممدوح عدوان

حكي السرايا والقناع

مسرحيتان

مدونة أبو عبدو

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس
محفوظة لاتحاد الكتاب العرب

تصميم الغلاف الفنان : محمد بدر حمدان

حكي السرايا

الفصل الأول

● المسرح مقسوم الى قسمين للقرية ولمكاتب الفرنسيين ويفضل أن يكون القسم الفرنسي أعلى من القسم القروي أو فوقه ، هناك درج يستخدم للوصول الى هذه المكاتب وخاصة مكتب المستشار .

الممثلون موجودون منذ البداية ، الاضاءة حين تأتي تبينهم وقد انتشروا في كل مكان وراحوا يتطلعون الى الجمهور وكأنهم هم الذين يتفرجون .

يظهر الراوي فتتركز أنظارهم كلهم عليه .

الراوي :

« يسلم على ممثلين .. بعضهم بالاسم . ثم يلتفت الى الجمهور ويسلم » مساء الخير ..

أنا لست حكواتيا ولا بهلوانا ولا صاحب الاعيب في الحد الأقصى أنا راو لهذه المسرحية بالذات .. أرجو أن أتقن هذه المهمة . ويسعدني أن في نية المؤلف أن يزجني في بعض المواقف التي يكون عليّ فيها أن أمثل . سأحاول التهرب ان أمكن ، وإلا فسأبذل جهدي وأرجو أن تتغاضوا عن عدم إتقاني للتمثيل .

نعود إلى قصتنا . قصتنا هذه الليلة عن الاحتلال . قصة حدثت في فلسطين في ظل الاحتلال الصهيوني أو في مصر في ظل الاحتلال الانكليزي أو في سورية في ظل الاحتلال الفرنسي . أي أنها حدثت في مكان يوجد فيه احتلال .

واذا كنا قد ضربنا الأمثلة من البلدان العربية فلأننا نعرف كيف نخوض في تفاصيل

هذه الأمثلة ولأننا نفترض أن جمهورنا عربي ولأن المؤلف مازال يخجل من الاعتراف بطموحه في أن يصبح كاتبا عالميا ، خلاصة الكلام ان القصة كان يمكن أن تكون في الهند أو السنغال أو البرازيل فالاحتلال هو الاحتلال . له منطق واحد ولغة واحدة ، وزيادة على ذلك فان قصة شبيهة قد حدثت في افريقيا وكتبها كتاب آخرون .

المهم أن كاتبنا قد اختار مكان قصته في الريف السوري أيام الانتداب الفرنسي .

القصة حدثت مع أبي وليد « يشير اليه » فلاح محترم في قريته . عشيرته كبيرة وعائلته محترمة،أولاده كلهم تزوجوا وانتقلوا الى أماكن أخرى . وظل أبو وليد وحده مع أم وليد وابنهما الأصغر سعيد « يشير اليهما فيتقدمان ، بينما يظل أبو وليد واقفا . يتقدم منه الراوي ليدعوه الى تقديم نفسه ولكنه ينتزع نفسه منه » .

ابو وليد :

اتركني يا شيخ ، كأن هناك من سلّطك علي .

الراوي :

أنا يا عم أبو وليد ؟

ابو وليد :

يا أخي لا عمل لك الا شرشحتي وسرد قصتي في كل مكان .

الراوي :

لا داعي للعصبية يا أبو وليد نحن هنا .

سعيد :

« يتقدم ويكمل العبارة » نحن هنا لكي نستفيد من دروس الماضي . ونأخذ عبرة .

ابو وليد :

يا أخي كونوا بحالكم واتركوا سير الناس ، اتركونا بحالنا وتعلموا مما لديكم .

الراوي :

صدقني أنتم أهم ما لدينا ، أنتم الأساس ، وقصتكم ..

ام وليد :

والله عال ، صرنا سوالف تحكى وحكايات تروى .

سعيد :

لا يريد أن يعترف أنه غلط في حق نفسه وفي حقنا ؟

أبو وليد :

ماذا يعني اذا كنا غلطنا ، نحن لم نتعلم ، لم تكن لدينا مدارس وتلفزيونات وجرائد نحن تعلمنا من تجاربنا ، كنا نخطىء ونصيب والحياة أعظم مدرسة .

سعيد :

عدنا الى هذا الحكي ؟

الراوي :

معه حق . معه حق . معك حق يا عمي أبو وليد . ولكن مثلما استفدتم من تجاربكم نستطيع نحن أن نستفيد منها لكي نتعلم ، ولكي تكون مرتاحا لن نقول الأسماء الحقيقية « للجمهور » هذا العم اسمه أبو وليد . أبو وليد فقط . واذا احتاج أحدهم أن يقول اسمه غير ذلك فسيكون حمدان « يتطلع الى أبي وليد مستشيرا » عامر ..

عمران .. عمران الحامد « يصمت أبو وليد راضيا » خلص . عمران الحامد من قرية نضع لها اسماً من عندنا : دير الهوى . ما رأيك ؟ « أبو وليد يستسلم » اتفقنا اذن. قصة عمران الحامد من قرية دير الهوى ، قرية بعيدة عن العاصمة دمشق . نبدأ يا عم أبو وليد ؟

ام وليد :

« لزوجها » ويلي منك . تظل حافيا ؟ حتى الى هنا تأتي حافيا .

ابو وليد :

هكذا بدأت القصة . كنت حافيا .

ابو فهد :

« من بين الممثلين » أصلا اسمه الحفيان . شرشوح طوال عمره .

ابو وليد :

« للراوي » أسكته والا عملت مشكلة هاه .

الراوي :

اسكت يا أبو فهد .. ممنوع أن يتكلم أي شخص الا حسب دوره في القصة .

ابو فهد :

احك قصته للجميع لكي يعرف قيمته • ولكي يعرف كل انسان مركزة •

الراوي :

طيب طيب • هيا بنا •

« يبدأ الجميع أغنية »

كل نفس بتعرف شو ذنوبا

وكل عنزة معلقة بكرعوبا

ابو وليد :

الجنة بعد ثلاث خطوات

بس نعرف كيف نلاقي دروبا

لو كلمتنا تبقى واحده

والناس تصفّي لي قلوبا

بعيني شايف كيف الناس

عم تطلع مليانة جيوبا

كل نفس بتعرف شو ذنوبا

وكل عنزة معلقة بكرعوبا

..

« وفيما هم يغنون تنطلق صرخة »
ـ الفرنساوية .

« يهرب الجميع مذعورين فيخلو المسرح الا من الراوي » .

الراوي :

جاءت دورية فرنسية الى القرية . وكالعادة هرب الجميع وانتشروا بين الكروم والبساتين الى أن أنهت الدورية عملها عند المختار . والآن راحت الدورية وبدأت الحياة تعود الى القرية . وجلس المختار أمام منزله مهموما « يخرج المختار من مضافته ويجلس أمام الباب ومعه عبده ، ومن طرف المسرح يظهر أسعد ووراءه أم وليد .. »

ام وليد :

« متملقة » الحمد لله على سلامتك يا أسعد .

اسعد :

« بجفاء » الله يسلمك .

ام وليد :

لماذا جاء الفرنسيون ؟

اسعد :

ما أدراني . اسألي المختار .

ام وليد :

ألن تكبّر عقلك يا ابني ؟

اسعد :

لا ابنك ولا أخوك . لا تحاولي .

ام وليد :

تضع عقلك في عقل العجل ؟

اسعد :

لا تطوّلي لسانك عليّ يا أم وليد .

المختار :

هكذا تحكي مع أم وليد يا أسعد ؟

اسعد :

اسألها هي . تنزل لترعى بقرتها فتترك العجل يسرح على راحته . كأنّ أرزاق الناس داثرة .

المختار :

يعني حبست العجل ؟

أسعد :

لـو عفّس في رزقك كمـا عفّس في رزقي لذبحته .

أم وليد :

قل لي ماذا تريد لكي تتركه ؟ أريد أن أحلب البقرة .

أسعد :

رطل تين يابس .

أم وليد :

أبو صقر شاهد . حين ينتهي موسم التين لك رطل تين يابس .

أسعد :

« بلوّم » ايه . وعندها تأتين وتأخذين العجل .

أم وليد :

كلّمه يا مختار .

المختار :

كبّر عقلك يا أسعد .

أسعد :

كرمى لعمي أبو صقر أقبل دورين من اللبن .

ام وليد :

أمري الى الله . خلص . تعال اعطني العجل .

اسعد :

تجلبين دور لبن اليوم ، ثم تجلبين دورا آخر غدا . وبعدها تأخذين العجل .

ام وليد :

الله لا يحكّمك بعباده .

« يبدأ أهل القرية بالتوافد » ويتجمعون حول المختـــار .

ـ خير يا مختار ؟

ـ ماذا كان الفرنسيون يريدون ؟

ـ هل أخذوا أحدا ؟

ـ جلبوا تبليغات ؟

ـ ضرائب جديدة ؟

ـ ســـخرة ؟

ـ فهّمونا ماذا جرى ، احك كلمة يا عبده .

ابو فهد :

« يفتح باب بيته ويخرج منه » ولماذا تسألون عبده ؟ اسألوا المختار . ألا ترون أنه خجلان لا يريد أن يتكلم .

المختار :

ولماذا أخجل يا أبو فهد ؟

ابو فهد :

قل لهم اذن .

المختار :

مادمت تعرف لماذا لا تقول لهم أنت ؟

ابو فهد :

وما أدراني أنا ؟ أنا كنت في بيتي وبابي مغلق.

ابو يوسف:

هل ستتشاجران الآن ؟ قل لنا يا مختار .. ماذا كانوا يريدون ؟

المختار :

أخذوا أبو وليد .

ام وليد :

« تشهق » ويلي .

ابو يوسف:
وماذا يريدون منه ؟

المختار :
لا أعرف .

ابو فهد :
مختار .. ولا يعرف .

المختار :
لعنة الله على الساعة التي صرت فيها مختارا يا أخي تعال خذ هذا الختم وريّحني .

ابو فهد :
لا يا مختار .. ، لا .. أنا غير مهتم بك ولا بختمك . وحين أريد هذا الختم يأتيني من غير طريقك .

هاني :
يا أبو فهد ، من شان الله اتركنا نفهم . احك يا مختار .

المختار :
لا أعرف ، لا أعرف . جاؤوا . قالوا لي نريد عمران الحامد . أرسلت عبده . احك ياعبده

عبـده :

كان جالسا أمام البيت ، لم يهرب مثل غيره .

المختار :

تعرفون ياس رأسه .

عبـده :

حين قلت لـه : الفرنساوية يريدونك ظننت أنه سيهرب . قام .. ولكنه توجه الى مضافة المختار .

المختار :

وما ان دخل حتى قال له الشاويش أنت عمران الحامد ؟ شرّف معنا .

أبو فهد :

قالوا له : شرف ؟

المختار :

اي نعم . قالوا له شرف ولم يقولوا أي شيء آخـر .

ام وليد :

والى أين أخذوه ؟

المختار :

لا أعرف .

ابو فهد :

المختار يجب أن يعرف لماذا أخذوا شخصا من قريتـــه .

المختار :

يا جماعة . هؤلاء فرنساوية . لا أستطيع أن آخذ وأعطي معهم . لو أرادوا أن يفسروا لماذا أخذوه لقالوا دون أن نسأل .

هـــاني :

هل سألوا عنه بالاسم ؟

المختار :

نعم . سألوا عنه بالاسم . قالـــوا : الشخص الذي عـــكر الجيش في أرضـــه اسمه عمران الحامد ؟ قلت : نعم . قالوا : اجلبه . نريده.

ام وليد :

وتقول لهم : نعم ؟

المختار :

يا أم وليد . هم يعرفون اسمه أقـــول لهم لا أعرفـــه ؟

ابويوسف:

العلم عند الله سيدفعون له تعويضاعن أرضه.

اسعد :

تعويض ؟

ابويوسف:

جائز .

هـاني :

ومنذ متى يدفـع الفرنساوية تعويضـا عـن الأراضي التي يستولون عليها ؟

ام وليد :

لماذا يأخذونه اذن ؟

المختار :

يا أم وليد . أنتم تكبّرون القصة وهي صغيرة.

ابو فهد :

صغّرها يا مختار . صغرها اذا استطعت .

ابويوسف:

يا جماعة اكبروها تكبر .. صغروها تصغر .

هـاني :

نحن نكبرها ونصغرها ؟ نحن نريد أن نفهـم الموضوع .

المختار :

يعني لماذا يأخذون أبو وليد ؟ هل سيجندونه في الجيش ؟

ابو فهد :

« ساخرا » أو يعينونه قائم مقام .

ابويوسف:

معناها سيدفعون له تعويضا عن الأرض .

اسعد :

« لأم وليد » اذا دفعوا لكم تعويضا لن أرض بالتين أو باللبن ستدفعون خسارتي مصاري .

ابو فهد :

لو كان عندنا مختار يعرف كيف يبيّض الوجه لما أخذوا المسكين دون أن يوضحوا السبب.

المختار :

« لعبده » عبده . احك لهم يا عبده . ماذا كنت تفعل حين خرجوا من المضافة ؟

عبده :

الشهادة لله كنت أتهيأ لذبح الديك ، عمي أبو صقر هو الذي طلب مني ذلك ، لكن ابن

حرام . عمره طويل . ونحن لا حظ لنا في أن تأكل لقمة طيبة .

ابو فهد :

ديك للدورية كلهـا وتنتظر أن تأكل بعدهم لقمة طيبة ؟!

المختار :

يا سيدي شرف .. خـذ الختم واذبـح لهم جاموسا .

ام وليد :

اسمعوا يا أمة الله ، ماذا يحكون . والرجل عند الفرنسيين لا نعرف ماذا صار معه . أين سعيد ؟ هل رأيتم سعيدا ؟

هـاني :

تركته في البساتين . قال : سيـسقي الكرم .

المختار :

يا أم وليد . طولي بالك . ان شاء الله ما فيه الا الخير . يعني الجماعة كانوا لطيفين معه ، لا صرخوا ولا شتموا . حتى انهم قالوا له : شرف .

ابو فهد :

أنا لا أعرف ماذا جرى داخل المضافة ، لكن الصراحة .. أنا تطلعت من الشباك . ركبوه في السيارة دون كلبشة ودون تدفيش .

ام وليد :

أنت رأيته ؟

ابو فهد :

نعم ، أنا رأيته .

هاني :

ولماذا لم تهرب من الوجه مثل غيرك ؟

ابو فهد :

ولماذا أهرب ؟ أنا لست خائفا . عائلتنا عمرها ما زعّلت حكومة . وكل الحكومات عرفتنا وعرفت قيمتنا . نحن دائما جاهزون . ماذا يريدون ؟ رجال ؟ رزق ؟ مال ؟ كله جاهز والحمد لله .

« يظهر الراوي فيما يبدأ أهل القرية بالتواري في بيوتهم » .

الراوي :

كما ترون ، قرية عادية ، مثل غيرها من القرى ، فيها مختار وأبو فهد وعبده وسعيد وأسعد وهاني. الحياة في القرية هادئةورتيبة. المشاكل بسيطة : حبس عجل ، نزاع على الدور في السقاية ، غيرة من المختار .. أشياء من هذا القبيل ، وحين يحدث حادث مثل مجيء الدورية الفرنسية يتحول الى مادة للحديث والتعليقات والمداولات ، « يقترب من احدى الزوايا فتضاء بقعة ضوئية نرى فيها سعيد وهاني ، سعيد يروح ويجيء بعصبية».

هاني :

ما بك ؟ قلق على أبيك ؟

سعيد :

أليس علي أن أقلق ؟

هاني :

لا أظن أن هناك خطورة ، الطريقة التي أخذوه بها تجعلني مطمئنا ، الحمد لله انهم لم يأتوا في طلب ضرائب جديدة أو سخرة ،

سـعيد :

لا أستطيع أن أتصور أبي وهو يتعرض للضرب والاهانة .

هـاني :

سم بالرحمن يا ابن الحلال . تريد أن أكون أكثر صراحة معك ؟ الفرنسيون سيحتفلون بعد أيام بعيد ١٤ تموز . هذا عيد هام عندهم . ولكي يضمنوا أن تسير الاحتفالات كما يشاؤون فانهم يعتقلون بعض المشبوهين أو المشاغبين .

سـعيد :

يعني .. اعتقلوا أبي .

هـاني :

حتى لو كان الأمر كذلك فهو اعتقال مؤقت الى أن ينتهي العيد . وربما لا يكون اعتقالا، ربما توصيات وتحذيرات . كل رجل كبير ومقدّر يضبط عشيرته أو عائلته . منطقيا هذا هو الاحتمال الأكبر .

سعيد :

هؤلاء يعرفون المنطق ؟ حياتنا نفسها فيهاشيء من المنطق ؟ عيشتنا لا تطاق . في كل مرة يأتي الفرنسيون الى القريـة نهرب الى البساتين . وحين يذهبون نتجرأ ونعود الىبيوتنافرحين.

هـاني :

ألا تريد أن نفرح حين يأتون ويذهبون دون أذى ؟

سعيد :

دون أذى ؟ طبعا يجب أن نفرح . كأنماالشيء المنطقي هو الأذى . أتعرف كيف يجعل الله الفلاح الفقير يفرح ؟ يجعله يضيّع حماره ثم يجده . هكذا نحن .

هـاني :

أفهمني ،، ما الذي تريده ؟

سعيد :

أن لا نظل خائفين ،، أن لا نهرب منهم . أن لا يظلوا مطمئنين الـى خوفنا . أريدهم أن يحسبوا ألف حساب وهم يدخلون الى هـذه القرى . أن يخافوا مثلنا .

هـاني :

وممن تريدهم أن يخافوا ؟

سـعيد :

منا نحن ، يجب أن يخافـوا . لكن لا ، لن يخافوا طالما أننا نكتفي بالهرب . طالما أن واحدا منا لا يخطر لـه أن يقطع طريـق الدورية أو يرمي حجرا على سيارتهم .

هـاني :

هل أنت جاد في ما تقول ؟

سـعيد :

وهل تراني أمزح ؟

هـاني :

تعني أنك تريد أن تزعج الفرنسيين ؟

سـعيد :

ازعجهم فقط ؟ أريد أن أشبه عمي الذي قاتل الفرنسيين مع ابراهيم هنانو .. وظل يقاتلهم حتى قتلوه .

هـاني :

ما رأيك أن هناك من يزعج الفرنسيين الآن ؟

سعيد :

من ؟ أين هم ؟ كيف نجدهم ؟

هاني :

موجودين .. تريد أن تلتقي بهم ؟

سعيد :

طبعا . أرجوك . تعرف أحدا منهم ؟

هاني :

اعتمد علي .

سعيد :

تتكلم جادا ؟

هاني :

قلت لك : اعتمد علي . ستلتقي بهم حين يؤون الأوان .

سعيد :

ويشغلونني معهم ؟

هاني :

طبعا . قلت لك : حين يؤون الأوان .

سعيد :

لن أنسى معروفك هذا طوال عمري .

هـاني :

هل لديك سلاح ؟ أي سلاح ؟

سـعيد :

عندنا جفت .

هـاني :

تأكد من صلاحيته .. وخبئه بحيث تعثر عليه بسرعة عند الضرورة .

سـعيد :

على عيني .. تعني أننا يمكن أن نفعل شيئا ما في هذه الفترة ؟

هـاني :

ربما . ألم أقل لك ان الفرنسيين يريدون أن يحتفلوا بعيدهم بعـد أيام ؟ قد يكون أول عمل تقوم به هو أن تخرب لهم احتفالهم .

سـعيد :

عظيم . الله يسمع منك .

ام وليد :

« تدخل » أنت هنا يا سعيد وأنا قلبي مثـل النـار ؟!

سعيد :

ماذا تريدينني أن أفعل ؟

ام وليد :

تسأل عن أبيك .

سعيد :

أمي . أبي ليس طفلا ، أين أسأل عنه وهو عند الفرنسيين ؟

ام وليد :

تسأل عنه عند الفرنسيين .. انزل عندهم واسألهم عن أبيك .

هاني :

يا خالتي .. لا أحد يستطيع أن يفعل شيئا يجب أن ننتظر .

سعيد :

اذهبي الى البيت .. وأنا سأتصرف .

« اطفاء على الثلاثة مع ظهور الراوي .. واضاءة على أبي فهد الجالس باسترخاء واعتزاز وهو يطقطق بمسبحته » .

الراوي :

ما تفسيرك لما جرى يا أبو فهد ؟.

ابو فهد :

عائلة منحوسة . خلص عزها . كان زمان وكان لبيت الحامد عز ، الآن انتهى ، لم يتركوا شيئا الا جربوه . في البداية حاول أخوه حازم أن يعمل مراجل ضد الفرنسيين فوقعت في رأسه . ولماذا قام ضد الفرنسيين ؟ لأنه اعتاد على العز أيام تركيا .. قام ضد فرنسا وكان يأمل أن الأتراك عائدون بعد أيام . المهم خاب أمله ودفع الثمن . ثم جاء عمران يريد أن يعمل زعامة ومراجل في القرية . لكن هذه أيضا لم تنفعه . الآن دنيا غير دنيا . لم تعد المسألة مسألة رؤوس يابسة . هذا زمان الرؤوس الكبيرة المدبرة . الله أعلم أن الفرنسيين عرفوا بما فعله أخوه وهو يحوص بين الشام وابراهيم هنانو . على كل هذه سنة الحياة ، يغيب عز بيت الحامد يأتي عز غيرهم . ولغير ربك ما دامت . كان يجب أن يفهم أبو وليد هذه الحقيقة وأن لا يظل يحوص مثل الدجاجة التي تريد أن تبيض .

الراوي :

أراك تعلق على أبو وليد وتنسى المختار .

ابو فهد :

كل شيء في وقته حلو . طول بالك وسترى كيف يجيء أبو صقر بنفسه ويقدم لي الختم.

الراوي :

ولكن الفرنسيين هم الذين يعينون المختار .

ابو فهد :

صحيح .. ولكن أنت لا تعرف كيف يفكر الفرنسيون . غدا يعرفون من الذي يستطيعون أن يعتمدوا عليه . وعندها يقولون لأبو صقر: أرنا عرض اكتافك .

اسعد :

« يدخل » عمي أبو فهد .

ابو فهد :

ماذا تريد يا أسعد ؟

اسعد :

عمي أبو فهد .. أرى أن كلمتك نافذة ومكانتك عالية ومحترمة .. ربما كنت تستطيع أن تحكي مع أحد من معارفك وتؤمن لي عملا عند الحكومة .

ابو فهد :

« للراوي » سمعت ؟ « لأسعد » ألبس لديك شغل يكفيك في أرضك يا أسعد ؟

اسعد :

الشغل عند الحكومة غير شيء يا عمي أبـو فهد .. راحة وعز ومعاش مضمون .

ابو فهد :

سأفكر في وضعك . ربما أمنت لك التطـوع في الجيش .

اسعد :

« فرحا » الجيش الفرنساوي ؟

ابو فهد :

ان شاء الله .

الراوي :

الجيش الفرنساوي ؟

ابو فهد :

وما به الجيش الفرنساوي ؟ ألم يعد يعجبكم؟

اسعد :

أنا يعجبني . اذا لبست البذلـة أصير زينـة

البلد كلها . وأظل تحت أمر عمي أبو فهد .
« أم وليد تظهر » .

ابو فهد :

« ينقل نظره بينها وبين الراوي » ولماذا لـم تذهب الى المختار أو الى بيت الحامد ياأسعد!

أسعد :

وهل كل من لبس الشروال رجّال يا عمي أبو فهـد ؟

ام وليد :

أنت هنا يا أسعد ؟

أسعد :

تلحقينني الى هنا ؟

ام وليد :

اتق الله يا ابن الحلال لم أعرف كيف أحلب البقرة . اتركْ العجل وحين يجيء أبو وليدلن تكون الا راضيا .

اسعد :

لا يا أم وليد،اذا كانت البقرة تعذّبك اعتمدي على البوّ . أما العجل فموضوعه معقد .

ام وليد :

الآن موضوع العجل معقد يا أسعد ؟

اسعد :

طبعا . سننتظر الى أن يعود أبو وليد من عند الفرنساوية . وعندها نحدد الخسارة : إما بالمصاري أو بالتين واللبن .

ام وليد :

احك كلمة يا أبو فهد .

ابو فهد :

مشغولة على العجل أم على الثور الكبير ؟

ام وليد :

والله لا أحد غيرك هو الثور يا أبو قرون .

ابو فهد :

« ينهض ويهم بضربها » ، أنا يا قليلة الشرف ؟

اسعد :

تقولين هذا عن عمي أبو فهد ؟!

الراوي :

« يمسكها ليبعدها » لا يا أم وليد جئت تثيرين المشاكل ؟!

ام وليد :

اتركه ، اتركه ، تظنه يتجرأ أن يمد يده علي ؟ يعرف أن ورائي من يقصها له .

ابو فهد :

حين يخرج زوجك تتفاهم .

ام وليد :

ولماذا تنتظر أن يخرج زوجي؟ قله من يدوسون على رقبتك في غيابه ؟

الراوي :

اقصري الشر يا بنت الحلال .

اسعد :

« يسحب أبا فهد » لا تبهدل نفسك معهـا عمي أبو فهد .. هي شـقفة حرمة . اتركها عليّ « يخرج معه » .

المختار :

« يظهر » ما هذا الصراخ ؟ ماذا يجري يا أم وليد ؟

ام وليد :

يظنون أن غياب أبو وليـد يعطيهم الفرصـة للتطاول علينا .

المختار :

« للراوي » ماذا حدث ؟

الراوي :

كانت العلقة مع أسعد من أجل العجل ثم صارت مع أبو فهد من أجل أبو وليد .

ام وليد :

اسمع يا أبو صقر . أبو وليد أريده منك . أنا لا أعرف غيرك . أنت المختار وأطلب أبو وليد منك أنت . أنت ابن حكومة تفاهم مع الحكومة .

الراوي :

ألا تستطيع أن تساعدها ؟

المختار :

تريدون أن أجن ؟ كيف أساعدها ؟

ام وليد :

« تسلك بالراوي » وأنت تروح وتجي، وتطق الحنك . احك كلمة مفيدة . طمّن قلبي .

الراوي :

أنا يا أم وليد ؟

ام وليد :

طبعا أنت . أنت ستقول لي ماذا جرى مع أبو وليد .

الراوي :

« يسحبها بهدوء » كل شيء في أوانه يا أم وليد . تعالي معي . سنعرف الآن أين هو فقط ثم سيأتي هو ويخبرنا بكل شيء .

« الاضاءة تختفي عن المختار .. لتتسلط على غرفة المستشار . المستشار جالس أمام مكتب » .

ام وليد :

«تتفرج على المشهد مع الراوي» ابن حكومة .

الراوي :

هس . هذا هو المستشار .. وهذا أبو وليد .

« يدخل جندي فرنسي الى غرفة المستشار ووراءه أبو وليد حافي القدمين » .

ام وليد :

شحاري . دخل عند المستشار حافيا .

الراوي :

هس . اسكتي . « يلتفت الى الجمهور »

ستسامحوننا على تجاوز بسيط لقد جعلنا الفرنسيين كلهم يتحدثون بالعربية .

المستشار:

« يتحدث بالهاتف » ألو .. هـذا أنت ؟ احك ماذا فعلتم ؟

« ينصت قليلا وهو يتطلع الى أبي وليد ثم يشير للجندي الفرنسي أن يغادر » لا . لا . لا يكفي . أريد أن أضمن أن العيد سيمر دون مشاكل . طبعا . اذا كان المندوب السامي سيجيء الى هنا فيجب أن تكون أمورنا مرتبة. أنا أعرف ؟ قال سيجلبون القادمين من باريس الى هنا ليحضروا العيد ويتفرجوا على المنطقة. اسمع . هناك شيء اسمه اعتقال احترازي . تعرف ما هو ؟ يعني : لا يكفي أن تعتقل الذين يثيرون المشاكل ويشاغبون .. يجب اعتقال من يحتمل أن يثيروا المشاكل . لا . لا . لا تفكر بالاستقبال . بقية الأمور اتركها علينا. نحن لدينا ترتيبات خاصة . تتكلم عن هـذا في ما بعد . اسمع .. أريد عدة صهاريج ماء

لغسل أشجار الشوارع كلها. ليس اليوم..قبل الاحتفال طيب . أورفوار . « يغلق السماعة . يتطلع الى أبو وليد » اسمك ؟

ابو وليد :

عمران الحامد .

المستشار:

« يتطلع الى أوراق أمامه » من دير الهوى ؟

ابو وليد :

نعم سيدي .

المستشار:

« يتأمله مجددا.فيحس أبو وليد بالارتباك».

ام وليد :

« تهمس » يا فضيحتنا على هذه الهيئة .

ابو وليد :

« كأنه يعتذر عن مظهره » جلبوني بسرعة يا بيك.لم يتركوا لي فرصة لالبس كماينبغي.

المستشار:

عندك غير هذه الملابس ؟

ابو وليد :

نعم سيدنا . عندي .

المستشار:

المفروض أن يكون عندك ملابس أفضل . وضعك المالي جيد .

ابو وليد :

الحمد لله .. مستورة . لكن نحن لا نهتم كثيرا لهذه الأمور .

المستشار:

لماذا ؟

ابو وليد :

نشتغل دائما . ملابسنا ...

المستشار:

« يقاطعه » طيب . اقعد .

ابو وليد :

« وكأنه لم يسمع جيدا لأنه لم يصدق نفسه» نعم يا بيك ؟

المستشار:

بصوت عال « اقعد » . معك هوية ؟ « يتقدم أبو وليد ويجلس على طرف الكرسي مرتبكا» .

« اطفاء على غرفة المستشار » .

ام وليد :

« تتطلع الى الراوي » لم أفهم شيئا .

الراوي :

المهم .. لم نعد قلقين . الحمد لله .. لم يضربوه ولم يهينوه .. بل سمحوا له بالجلوس في حضرة المستشار .

ام وليد :

لكنني أريد أن أعرف لماذا أخذوه .

الراوي :

ألم تسمعي ما يقول المثل : ما تشتريه بالمال تعرفه مجانا . سنسمع من أبو وليد نفسه .

« يضاء المسرح كله .. أبو وليد يدخل المسرح . أهل القرية يطلون من النوافذ والأسطحة » يمشون وراء أبي وليد . وأبو وليد يمشي بهدوء وصمت . أبو فهد يخرج من بيته .. الجميع يتساءلون » .

ـ خير ؟

ـ أهلا أبو وليد .

ـ الحمد لله على السلامة .

ـ خبرنا .

ـ ماذا كانوا يريدون منك ؟

ـ رجعت وحدك أم هم أرجعوك ؟

اسعد :

سمعنا أنهم أرادوك ليدفعوا لك تعويض الأرض . خفنا عليك .

ابو فهد :

على مهلكم . على مهلكم . خلوا الرجل يعرف يحكي . ماذا كانوا يريدون منك يا أبوولـيد؟

عبده :

جاء أبو صقر .

المختار :

« يقترب » أهلا أبو وليد . رجعت بسرعة . ماذا كانوا يريدون منك ؟

ابو وليد :

عزيمة ! « الدهشة تصيب الجميع . البعض يبتسم أو يضحك » .

المختار :

مـاذا ؟

ابو وليد :

عزيمة • عزيمة « الضحكات تعلو » •

المختار :

« بعزم » دعونا نسمع • يريدون أن تعمل لهم عزيمة ؟

ابويوسف:

يعني •• سيخربون بيته •

ابو فهد :

لم هذه الثرثرة الآن ؟ خلونا نفهم من الرجل• احك يا أبو وليد • ما بك هكذا ؟

ابو وليد :

هم عزموني •

المختار :

أحلى عزيمة • يعزمون واحدا بواسطة دورية• تعني أخذوك من أجل أن تتغدى معهم ؟

ابو فهد :

لماذا؟ ألا يعرفون كيف يتغدون الا مع الحفيان؟

ابو وليد :

ألا يعبىء عينك الحفيان يا وجه الضبع؟ «يريد أن يهجم عليه » •

ابو فهد :

أنا وجه الضبع يا منتوف ؟

اسعد :

لا تطول لسانك على عمي أبو فهد يا أبو وليد .

ام وليد :

وانت صرت صاحب مراجل يا أسعد ؟

اسعد :

الذي يتطاول على عمي أبو فهد .. اجعل الله ما خلقه .

ام وليد :

تظنه وحده يا ابن الصرماية ؟ تريد أن أدب الصوت على أقاربنا ؟

المختار :

لا .. يا جماعة ، لا تكبروها .

اسعد :

احفظي لسانك يا أم وليد .. أبتلي بك هاه .

ابو وليد :

« يصل اليه ويضربه » تبتلي بها ؟ اكيف ؟.

« اسعد يهرب من أمام أبي وليد » .

ابو وليد :
« لأبي فهد » وانت • تفضل • أرني مراجلك• أعد علي ما قلته •

المختار :
« يمسك أبو وليد » سألتكم بالله ان تكفوا الشر • « يسحبه » دعونا نفهم الموضوع •

ابو وليد :
لا • لا • أريد أن أعرف على من يتبغدد • تعال لنر • بحق عزة الله •• « يهجم فيسكونه » •

ام وليد :
جاءك من يعرف قيمتك يا أبو فهد •

المختار :
اجعل العقل منك يا أبو وليد • الرجل يريد أن يمازحك •

ابو وليد :
يمازحني ؟ منذ متى يمازحني ؟

المختار :
يا أبو فهد ، احك كلمة واقصر الشر •

ابو فهد :

أنا ماذا قلت ؟ قلت : حفيان • طـوال عمرنا نقول عنه الحفيان •

ابو وليد :

على أية حال ها هـو المستشار يعرف قيمـة الناس برؤوسها لا بأرجلها •

ابو فهد :

تفضلوا على هذا الكلام • لم يبق الا أن يقول ان الغداء عند المستشار •

المختار :

يا أخي انت ما علاقتك • ان شاء الله يتغدى مع المندوب السامي ، احك يا أبو وليد •

ابو وليد :

« بهـدوء واعتزاز » الغـداء مـع المندوب السامي • « يتصعق الجميع » •

ابو فهد :

••• السامي !!

ابو وليد :

وأكثر من غداء •• حفلة •

المختار :
حفلـة ؟

ام وليد :
فهمنا يا ابو وليد . احك مثل الناس .

ابو وليد :
« ينظر اليها بحدة » وما الذي يوقفك بيـن الرجـال ؟ ابتعدي . ابتعدي مـن وجهي . «تتراجع قليلا منصاعة دون أن تفقدفضولها».

المختار :
اتركها واحك معنا .

ابو وليد :
يا سيدي .. الفرنساوية عندهم عيد بعد كم يوم . وسيأتي المندوب السامي مـن الشـام ليحضر الحفلة . وغيـره أناس أكابر كثيرون سيجيئون . من باريز .

ابو فهد :
« بعصبية بالغة » الخلاصة ..؟

ابو وليد :
هذه هي الخلاصة،المستشار يريدني أن أحضر هذه الحفلة .

المختار :

انت ؟

ابو وليد :

أنا .. ألا أعجبك ؟ « بحركة استعراضية يخرج مغلفا من عبه » . عزمني المستشار . وأعطاني هذا الكرت لكي أدخل السرايا يوم الحفلة .

« أبو فهد يختطف المغلف بعصبية . وأبووليد يحافظ على هدوئه . الجميع يندفعون ويتجمعون لينظروا بفضول . يسدون أعناقهم . أبو فهد يخرج بطاقة من المغلف وعليها كتابة بالفرنسية . الخيبة على الوجوه ، يتطلعون الى أبي فهد .. أبو فهد يعيد البطاقة » .

ابو فهد :

مكتوب عليها بالفرنساوي .

واحد :

هل عندنا من يفك الخط الفرنساوي ؟

« الجميع يتبادلون نظرات خيبة » .

ابو فهد :

« بقسوة .. لأبي وليد » ما المكتوب هنا ؟

ابو وليد :

العزيمة .. اقرأها .

ام وليد :

« تزغرد » .

ابو وليد :

بلا فضائح يا مغضوبة .

ابو فهد :

« ينظر اليها بغضب .. ثم الى أبي وليـد » كذب !!

المختار :

هات .. أنا أعرف كم حرف . « يأخذ البطاقة يتطلع اليها متفحصا .. يعـود الآخرون الى التحلق حوله وكأنهم سيقرأون معه .. يبذل جهدا للبحث عن كلمة يعرفها » ابعدوا مـن الضوء .. لا أرى جيدا .. ايوه . ابو ... ١٤ .. هذه ١٤ .. ١٤ جو .. جو .. لي .. ١٤ جولي .. « بارتياح » يعني ١٤ تموز .

ابو وليد :

« باعتداد » هذا يوم الحفلة . « يمد يده ليأخذ البطاقة » .

المختار :

انتظر . انتظر « يعود الى التدقيق في الورقة » .

واحد :

ما المكتوب بالحبر هنا ؟

واحد :

ماذا استفدنا ؟ المختار لم يعرف الا يوم الحفلة .

المختار :

انتظر .. انتظر .. « يعود الى التدقيق في الورقة » اي .. اي .. انتظروا .. المكتوب بالحبر ام .. ام .. ام راه .. ام وان .. امران .

ابو وليد :

يعني عمران .. هذا أنا .. « ويسحب البطاقة من يد المختار » .

ابو فهد :

« ينتزع البطاقة من أبي وليد ويضعها بغضب أمام عيني المختار » هذه عمران ؟

المختار :

امران.. يعني عمران .. الفرنساوية ماعندهم حرف العين . لا يعرفون كيف يلفظون العين .

ابو فهد :

يعني هذه عمران ! يعني أبو وليد ؟

المختار :

« يسحب البطاقة من يده ويقرأ » امران .. الـ .. هاء.. هامي.. ميد.. امران الهاميد.. يعني عمران الحامد د عمران الحامد . أيضا ليس عندهم حاء .

ابو فهد :

حاء ؟! هاميد ؟! الله يهدك .. « ينتزع البطاقة مرة أخرى » هذه عمران الحامد ؟!

ابو وليد :

« وقد ارتاح لتوصلهم الى قراءة اسمه .. يسحب البطاقة ويضعها في المغلف.. يتطلع الى امرأته » ما غداؤنا اليوم يا أم وليد ؟ مازلت على لحم بطني .

ام وليد :

تفضل يا تاج راسي .. الذي تريده يحضر..
« يخرجان معا » .

« المختـار وأبو فهـد يشيعانه بنظرهما .. وكذلك الآخرون .. بعد خروج أبي وليـد وزوجته . المختار لا يتطلع الى أبي فهد .. يـحب نحـو مضافته بينما أبو فهد يتابعه بنظرات نارية » .

ابو فهد :

بـسيطة .. الأيام بيننا .. سأرى آخرتها معك يا مختـار النحس . « وينصرف نحو بيته . الآخرون مازالوا واجمين » .

اسعد :

المستشار يعزمه ؟

واحـد :

ألم تسـمع ؟ الذين عزموه أعلى من المستشار بكثير . أكابر قادمون من باريز .

واحـد :

وكيف سمعوا به في باريز ؟

واحـد :

يا عمي .. بيت الحامد .. صيتهم يملأ الدنيا .. هكذا سمعوا به في باريز .

واحـد :

وكم تبعد باريز يعني ؟ كلها مثلفة عصا .

واحـد :

ولماذا لم يطلبه الذين هنا إلا اليوم ؟

واحـد :

لأن الذين في باريز سمعوا به .. وهؤلاء لم يسمعوا به .

اسعد :

اكيد .. في باريز يعرفون قيمته .

هـاني :

من كل عقلكم تتكلمون ؟

اسعد :

ألا يعجبك اكلامنا ؟

هـاني :

أولا يا فهيم .. الفرنسيون لا يطلبونه لحفلة كهذه إلا وهم يخططون لشيء .. ثانيا كل من

يذهب الى حفلة كهذه يكون معدوم الشرف .
« يخرج » .

واحـد :
معدوم الشرف والناموس أيضا « يخرج » .

اسعد :
لا والله . أنتم الذين ليس في رؤوسكم عقل .

واحـد :
لا ترد على كلامهم .. لو جاءتهم دعوة كهذه لرأوا ليلة القدر .

اسعد :
تأتي لهؤلاء ؟ هه .. قال .. جئنا نحدو الخيل مدت الخنفساء رجلها ..
« اطفاء » .

« أبو وليد جالس باعتداد وبيده المغلف ومعه زوجته وعدد من أهل القرية » .

الاول :
أكيد سمعوا به في باريز .

الثاني :
لو تعرف كيف تقرأ الكرت . أكيد ان الدعوة آتية من باريز .

ام وليد :

وكيف عرفت ؟

الثاني :

الفرنساوية الذين هنا عمرهم لم يعرفوه .. معناها الذين في باريز قالوا اذا كنا سنتعب أنفسنا لكي نحضر هذه الحفلة يجب أن يكون أبو وليد معنا في الحفلة .

الاول :

وهكذا خجلوا المستشار .. فقال لنفسه : كيف نسيت أبو وليد ؟

الثالث :

علّم علي كلامي . الفرنساوية الذين هنا سيعضون أصابعهم ندما لأنهم عكروا في أرضه .

ام وليد :

ولماذا الندم ؟ غلط وينصلح .

الثاني :

يدفعون له تعويضا .

ابو وليد :

« يمد يده بالمغلف الى زوجته » خـذي .. ضعيه في الصندوق .

الاول :

ديروا بالكم لئلا يضيع .

الثالث :

واذا وجده أحد ذهب بدلا من أبو وليد .

ام وليد :

الله يسترنا من أولاد الحرام .. قد يفكرون في سرقته .

ابو وليد :

يظل عقل النسوان صغيرا . لا أحد يستطيع أن يدخل به غيري يا غشيمة . اسمي مكتوب عليه . ولكن اذا ضاع لا أستطيع أنا أنأدخل الى السرايا . يجب أن يراه الحرس معي لكي يعرفوني .

الاول :

ولا يهمك عمي أبو وليد . اذا كان المستشار يعرفك فالحرس سيعرفونك .

الثاني :

أكيـــد .

ابو وليد :

الاحتياط ضروري .

الثاني :

أكيد سيغدّونكم .

الاول :

يا ترى .. يذبحون ذبائح ؟

الثالث :

طبعاً . يقول لك عمي أبو وليد : الناس أتون من باريز . معناها الذين هنا يجب أن يبيضوا الوجه .

الثاني :

أكيـــد .

أم وليد :

ومن سيأتي من باريز ؟

الثالث :

الضيوف .

ابو وليد :

أناس أكابر .

الاول :

آه .. يا عيني .. وترى المستشارية والحاكم العسكري والمندوب السامي.. كلهم يركضون ليبيضوا وجوههم .

الثاني :

« ممازحا » وماذا سيفعل عمي أبو وليد اذا كان الأكل بالفرنساوي ؟

الثالث :

« ضاحكا » يترجمون له لياكل .

ابو وليد :

أين سعيد ؟ لم أره بعد أن رجعت .

الاول :

اتركه يفرح بشبابه . الدنيا لا تسعه من فرحته بك .

اسعد :

« يأتي صوته من الخارج » خالتي أم وليد .

ابو وليد :

شوفي من جاء .

ام وليد .

الله يغضب عليه .. هذا اسعد ، آت من أجل العجل .

الاول :

ادفعوا له الخسارة وارتاحوا من سفاهته .

ام وليد :

صار يطلب مصاري .

ابو وليد :

أنا أتفاهم معه . ادخل يا أسعد . ادخل .

اسعد :

أرسل لي خالتي أم وليد لتُدخل العجل الى أمـــه .

« أم وليـــد تتطلـــع مندهشة الـــى الآخرين وتخرج » .

اسعد :

« يدخل » الله يمسيكم بالخير .

ابو وليد :

أهلا أسعد . تعال . اجلس .

اسعد :

طمنني عنك عمي أبو وليد .

أبو وليد :

صرت تقاتل مع أبو فهد يا أسعد .

اسعد :

ولو .. عمي أبو وليد .. أنا كنت أريد أن أخلّص بينكما .. لم أرد أن تتشاجر مع أبو فهد . هذا رجل سفيه .. «يضحك» والمخلص يأكل ثلثي القتلة .. أكلنا كفا من عمي أبو وليد. لكن تموت .. انت بمقام والدي .

ام وليد :

« تدخل » وكيف طلعت معك وجلبت العجل؟

اسعد :

ولو .. خالتي أم وليد .. من كل عقلك احبس العجل ؟ كنت أمزح معك ..

ام وليد :

وماذا قررت أن تأخذ ؟ اللبن أم التين اليابس؟

اسعد :

أي لبن وأي تين يابس يا خالتي ؟ قلت لك : كنت أمزح . هل صدقت أنني سآخذ منك

خسارة العجل ؟ ولو .. أبو وليد بمقام والدي .

الثالث :

والعجل مثل أخيه « يضحكون » .

الأول :

يعني كانت حلوة أن يروح أبو وليد عند المستشار وأكابر الفرنساوية ويسمعوا أنعجله محبوس ؟

اسعد :

أعوذ بالله . أنا لا أرضاها .

الثالث :

« مازحا » اذا عرفوا أن عجله محبوس يقولون أن عجله مشاغب . والعجل طبعه من طبع أصحابه . يعني سيقولون أبو وليد مشاغب .

الثاني :

صاحب العجل المشاغب .. مشاغب .

الأول :

على مبدأ كلب الآغا آغا .

ابو وليد :

« بحزم » ما هذه الفلسفة ؟ اذا عرفوا أن أسعد حبس لي عجلي يحبسون أسعد مقابل العجل .

أسعد :

ولو عمي أبو وليد .. يطاوعك قلبك علي ؟

الراوي :

ولكن لم يكن أهل القرية كلهم هكذا ..
« اطفاء على بيت أبي وليد .. واضاءة على مكان آخر فيه عدد من أهل القرية بينهم هاني وأبو يوسف » .

الراوي :

« يتوجه اليهم » ما رأيكم بدعوة الفرنسيين لأبو وليد ؟

ابويوسف:

جهنم تاخذه وتاخذهم .

هاني :

لا أظنه سيذهب .

الاول :

يا سيدي سيذهب .

الثاني :

أما رأيته كيف دخل القرية منفوشا مثل ديك الحبش ؟

ابويوسف:

رجل لا يستحي .

الثاني :

مالكم وله ؟ اتركوه على حريته .

ابويوسف:

كيف مالنا وله ؟ هـذا الرجل سيلحقنا منـه وجع رأس . يظل مدحوشا بالفرنسيين حتى بعد أن أخذوا له بستانه .

الثالث :

« يدخل » الله يمسيكم بالخير .

الراوي :

لماذا لم تسهر عند أبو وليد ؟

الثالث :

ولماذا أسهر عند أبو وليد ؟

الراوي :

القرية كلها عنده .

الثالث :

لأن الفرنسيين وجهوا له دعوة ؟ لا حبيبي . لا . أنا أسهر مع هؤلاء الأوادم .

الراوي :

تعني .. لو جاءتك دعوة كهذه .. أما كنت ستفرح بها وتذهب ؟

الثالث :

أنا ؟ لا بالله لا أذهب الا اذا شحطوني شحطا .

ابو يوسف:

الله محيي أصلك .

الثاني :

يا جماعة لا تكبروا القصة . من يدري ؟ ربما كان فيها منفعة .

هاني :

منفعة من الفرنسيين ؟

الثاني :

ان لم يكن فيها منفعة فلن يكون فيها ضرر.. يعني .. ليس من الضروري أن تقطع الخيوط

كلها مع الفرنسيين • نسايرهم • واليد التي لا تستطيع أن تقطعها •• قبلها وادع عليها بالكسر •

الأول :

يا سيدي •• المسألة ليست على كيفه•• الذي يطلبه الفرنسيون يذهب غصبا عن أبيه •

الثالث :

دعوة بالغصب •

الأول :

طبعا بالغصب • كل شيء عند الفرنسيين بالغصب •

هاني :

ولكن نحن •• يجب أن نعرف كيف نرفض •

« يدخل سعيد متوترا » •

الراوي :

وانت ما رأيك بالدعوة التي جاءت لأبيك ؟

سعيد :

رأيي ؟ أنا على وشك أن أجن ، ولكن ماذا أستطيع أن أفعل ؟

هـاني :

أتعرف لماذا يدعونه ؟ العيد من أعياد فرنسا . يريدون أن يبيّنوا أن أولاد البلد مرتاحون مع فرنسا ويحتفلون بأعيادها .. يعني أن نعتبر أنفسنا فرنسيين وأن نهتم بتاريخهم وأبطالهم وأعيادهم .

سعيد :

« بعصبية » أعرف هذا كله .. ولكن ماالعمل؟

هـاني :

يجب أن لا يذهب أبوك الى الحفلة .

سعيد :

أنا معك . ولكن كيف ؟

هـاني :

تستطيع أن تقنعه بأن لا يذهب .

سعيد :

سأجرب .

الراوي :

أبو وليد عنيد قد لا يسمع كلام ابنه .

هـاني :

اذا لم يقتنع مع سعيد نحكي معه نحن يجب

ان يفهم أن أولاد البلد لا يجوز أن يحضروا احتفالا كهذا . ويجب أن يفهم الفرنسيون أيضا أنهم لا يستطيعون أن يفرضوا علينا تاريخهم .

« الراوي يتوجه الى الجمهور .. أهل القرية يظهرون في مجموعتين .. »

الراوي :

الله الدايم .. الله الدايم

كل مركب وحده ببحره عايم

عشنا تا شفنا كل العجايب

وأولها الدولة تعمل عزايم

ابو وليد :

نحن انعرفنا .. اقام بواجبنا

ما ادري شو دخله تايلوم اللايم

نحن انعزمنا جوا السرايا

والمبغض مخزي والحاسد تايم

ابو فهد :

حكي قرايا وحكي سرايا
يمكن ع بصلة يفطر هالصايم

ام وليد :

عين اللي بتحسد بيلاها بعمى
والدني يقضي طول عمره حايم
نحن إسمنا وصل لباريز
وراح يبقى مضوي تايقوم القايم

هاني :

العدو عم ينهب كل شي ببلدنا
وهلق حاسبنا بين الغنايم

الراوي :

الله الدايم الله الدايم
كل مركب وحده ببحره عايم
عشنا تا شفنا كل العجايب
وأولها فرنسا تعمل عزايم .

« يخرجون »

الراوي :

« للجمهور » ولم تقف المسألة عند هذا الحد. لم يكتف الناس بالتعليقات الساذجة والتلميحات الساخرة .. بل بدأ كل منهم يسعى نحو مصلحته ونحو ما يراه واجبه نحو الناس .. أو نحو نفسه .

« المختار جالس وحده . وهو يشرب الشاي .. عبده جالس أمامه ويده على خده » .

عبده :

تأخر الوقت . لا أظن أن أحدا سيأتي بعد الآن .

المختار :

نعست ؟

عبده :

ضجرت . سأذهب لأتسلى في بيت أبي وليده.

المختار :

أنت أيضا معجب بهذه الدعوة ؟

عبده :

لا والله . لكن أريد أن أسمع ما يقوله

الناس . تعرف يا عمي أبو صقر ؟ كنت أقول لنفسي : لو جاءتني دعوة كهذه كنت سأطفش من القرية .

المختار :

لماذا ؟

عبده :

لأن الفرنسيين سيغضبون إن لم أذهب .

« سعيد يدخل »

سعيد :

عمي أبو صقر .. أريد منك جوابا واضحا على هذا السؤال .

المختار :

خير يا ابني ؟

سعيد :

لماذا أعطيت اسم أبي للفرنسيين حين طلبوا شخصا من القرية لحفلتهم ؟

المختار :

أنا يا سعيد ؟

سعيد :

طبعا انت .. وإلا من أين سيجلبون اسمه ؟

المختار :

يا ابني .. أقسمت أمام القرية كلها أنهم جاؤوا واسمه معهم . اسأل .

عبده :

هم سألوا عن عمران الحامد .

سعيد :

من أين جاءتنا هذه المصيبة ؟.

عبده :

مصيبة .

سعيد :

طبعا مصيبة .. وبهدلة أيضا .

المختار :

انت تقول هذا الكلام وهناك من يتمنى لو يدفع نصف رزقه لكي يذهب بدلا من أبيك ؟

سعيد :

فليذهب . أرسل أي شخص آخر بدلا من أبي .

المختار :

يا ابني ، هذه المسألة ليست في يدي . هم طلبوه .

سعيد :

تكلم مع أبي . انت اشرح له . سيقبل منك. أنا لن يقبل مني .

عبده :

يا سعيد . أبوك مضطر أن يذهب . لايستطيع أن يغضب الفرنسيين .

سعيد :

يا أخي يجب أن نغضبهم . يجب أن نجبرهم على إيذائنا ويجب أن نؤذيهم . الى متى سيظل الخوف يلجمنا ويجعلهم يحسون أننا قابلون بهم ؟

المختار :

هدىء أعصابك وحاول أن تقول هذا الكلام لأبيك .

سعيد :

ألا تقول له أنت ؟

المختار :

أنا سأجد فرصة أحدثه فيها . اذهب الآن الى البيت والصباح رباح . اذهب معه يا عبده . « يهمان بالذهاب ، أبو فهد يقتحم المكان وبندقيته على كتفه . يكاد أن يصطدم بهما.. يتطلع اليهما بحقد .. عبده يسحب سعيد ويخرجان » .

المختار :

« يهم بالنهوض لاستقبال أبي فهد » أهلا أبو فهد تفضل .

ابو فهد :

« بحدة » مبسوط ؟

المختار :

على ماذا ؟

ابو فهد :

على جلوسك وحدك هنا ؟

المختار :

الناس كلهم عند أبو وليد .

ابو فهد :

وانت .. لماذا لم تذهب عند أبو وليد ؟

المختار :

أنا ؟ ماذا أفعل عنده ؟

ابو فهد :

يحكي لك عن المستشار .

المختار :

اقعد ، اقعد ، تظل بهذه النرفزة والعصبية ؟

ابو فهد :

كله منك ، أنا فهمان عليك .

المختار :

أنـا ؟

ابو فهد :

طبعا انت . تظنني لا أعرفـك أنت وفصولك الناقصـة .

المختار :

لا يا أبو فهد .. هكذا تتطاول علي .

ابو فهد :

هذا ما تخاف منه ، تخاف أن يزداد تهوذي . تظنني طامعا بالزعامة والمخترة ولذلك تريد أن تهوّي أبو وليد علي .

المختار :

عن ماذا تحكي ؟

ابو فهد :

تعرف عن ماذا أحكي ، اقص يدي اذا كـان الفرنسيون لم يشاوروك على مـن يجب أن يحضر الحفلة من القرية •

المختار :

ما هذا الكلام يا رجل ؟

ابو فهد :

ولا أستغرب أن يكونوا قد جاؤوا يطلبونني أصلا وأنت غيرت لهم رأيهم •

المختار :

« ساخرا » ما دمتُ قادرا على التأثير عليهم عليهم الى هذه الدرجة لماذا لـم أضع اسمي بدلا من أبو وليد •

ابو فهد :

هـذا الكـلام لا يمشي علي أنـا • المخاتير مضمونون عند الفرنساوية• وهم الآنيريدون أبناء العائلات لكي يعتمدوا عليهم •• وانت

تقترح عليهم الحفيان لأنك تظل أقوى منه . أما أبناء العائلات ..

المختار :

ما هذا الكلام يا أبو فهد ؟ يبدو أنك لم تعد تزن كلامك .. هل تعني أنني لست ابن عائلة؟ لا . هكذا تكون زودتها كثيرا .

ابو فهد :

لا كثير ولا قليل . وطالما انك بدأت بالمشاكل فلا كلام عندي الا أن أقول لك : « الأيام بيننا » .

المختار :

« محتدا » وماذا تستطيع أن تفعل ؟ اذا كنت تظن أنك تخيفني بسفاهتك وجفتك تكون غلطانا . أنا لا أفكر بك ولا بجفتك ولا بعائلتك كلها .

« يتماسكان .. الراوي يحاول التفريق بينهما .. ينادي أهل القرية .. يجتمعون ويفرقون بينهما » .

ـ لا يا جماعة . ما هكذا .

ـ عيب يا اخوان .

ـ أنتم العقلاء الكبار .. تصل بينكم الى هنا ؟

ابو فهد :

بسيطة يا أبو صقر . بسيطة . سيأتيك يوم .

المختار :

بلط البحر .. وأعلى ما بخيلك اركبه .

الراوي :

« للجمهور » هناك من يحاول أن يباط البحر وأن يركب أعلى الخيول . المختار لا يعرف كم تعلو الخيول .. ورجل غاضب مثل أبي فهد قد يفعل الكثير . لا يحطها واطئة لأحد.خيله عالية جدا . ووسائله أكثر واغرب من أن تخطر على البال .

« رقيب فرنسي وراء طاولة .. وجندي فرنسي يقف أمامه » .

الجندي :

رجل من أولاد البلد يريد مقابلة المستشار .

الرقيب :

عنده موعد ؟ المستشار طلبه ؟

الجندي :

لا .

الرقيب :

أدخله الى هنا « يخرج الجندي الرقيب ينشغل بأوراق أمامه » .

« يدخل أبو فهد بشخصية مختلفة تماما ، على وجهه ابتسامة متملقة .. يتقدم بنصف انحناءة وهو يرفع يديه الى رأسه لتحيته » .

ابو فهد :

السلام عليكم .

الرقيب :

« يرفع رأسه عن الأوراق » نعم ؟

ابو فهد :

يا سيدي كنت قادما بأمل أن أتشرف برؤية سعادة المستشار . لكن حضرة العسكري قال أن أتشرف برؤية حضرتكم أولا .

الرقيب :

المستشار مشغول . لماذا تريد أن تراه ؟

ابو فهد :

يا سيدي محسوبك أبو فهد .. عبد الجليل المسعود .. من دير الهوى .

الرقيب :

شي يهواي .

ابو فهد :

« يفاجأ ويداري حرجه بتصنع ضحكة »ماشاء الله يا سيدي . دمك خفيف ماشاء الله . لا تعرف العربية فقط .. بل وتتكلت بالعربية . ماشاء الله .

الرقيب :

« بنفاذ صبر » ما الذي تريده ؟

ابو فهد :

يا سيدي . يقولون أن سعادة المستشار طلب واحدا من عندنا في القرية لكي يحضر الحفلة التي ستقيمونها .

الرقيب :

« مقاطعا » وما علاقتك بالموضوع ؟

ابو فهد :

يا سيدي . احببت أن أنبه سعادة المستشار.. الدعوة وجهت لرجل ــ أجلك الله ــ مبهدل. لا شك أن الذي اقترح عليكم هذا الرجل مغرض .

الرقيب :

مغرض ؟

ابو فهد :

نعم يا بيك . مغرض . انتقى لكم شخصا لا يحل ولا يربط . لا يعرف ثلث الثلاثة كم . حتى اسمه عندنا الحفيان . أعني .. من جهة يسوّد وجه القرية ومن جهة ليس أهلا للجلوس مع الأكابر الذين هم مثل حضرتك.. أخشى أن يسوّد وجوهكم مع الضيوف القادمين من باريز ..

الرقيب :

« يتطلع اليه مستغربا » عن ماذا تتكلم ؟

ابو فهد :

يا بيك . تستطيع أن تسأل عنا وعن عائلتنا نحن طوال عمرنا خدامون لفرنسا أبا عن جد . ونشيلها فوق رؤوسنا . وأنا متأكد أن هناك من يحسدني ويخاف أن يصير لي نفوذ أو تصير لي كلمة عندكم . ولذلك اقترحوا عليكم عمران الحامد .. لا يريدون أن أتشرف بالحضور . تعرف جماعتنا وقلة عقولهم .

الرقيب :

هذا رأيك ؟

ابو فهد :

أكيد يا بيك . فكر فيها حضرتك. لا يريدوني لأنهم يحسدونني هذه فهمناها . ولكن لماذا الحفيان ؟ هذا الرجل يا بيك ، أجلّك الله ، غشيم . وزيادة على ذلك مشاغب . مشاكله في القرية لا تنتهي . وليس أخوه فقط الذي حارب فرنسا مع ابراهيم هنانو يا بيك . هو أيضا . هو وعائلته كلها .

الرقيب :

« ضجرا » طيب . طيب .

ابو فهد :

قصدي يا بيـك .. اذا كان هنـاك مجـال للتراجع عن هـذا الغلط فهـو في مصلحتنا ومصلحتكم . أنا لا هدف لي ، يشهد الله ، إلا أن نبيض الوجـه معكم .. وأن نبيضوا أنتم وجوهكم مـع الأجاويـد القادمين من باريز . وحتى لو لـم نتشرف نحن بالحضور فنحن جاهزون لأية خدمة . كـل ما تأمرون به .. ذبائح .. رجال .. خدمة .

الرقيب :

أفهم أن المستشار طلب رجلا من قريتكم ؟

ابو فهد :

نعم يا بيك .

الرقيب :

وانت جئت تحتج على ذلك ؟

ابو فهد :

أريد يا بيك ..

الرقيب :

اطلع بره .

ابو فهد :

نعم يا بيك ؟

الرقيب :

اطلع بره . ولا تدعني أرى هذه الخلقة بعد اليوم فهمت ؟ « ينهض ويقترب منه مهددا بينما يتراجع أبو فهد مذعورا » عندما يصدر المستشار أمرا تنفذونه . تنفذونه بالحرف . ولا يحق لبغل مثلك أن يناقشه .

ابو فهد :

يا بيك .. أنا قصدي ...

الرقيب :

« يصرخ » اخرس . حيوان . برة .. «يخرج أبو فهد منحنيا محييا دون أن يدير ظهره » .

ابو فهد :

أمرك .. أمرك يا بيك . على راسي . ولكن تذكر يا بيك .. اذا غيرتم رأيكم .. أنا عبد الجليل الل ..

الرقيب :

مازلت تتكلم يا ابن الكلب .. « يهجم عليه. أبو فهد يخرج راكضا » .

لم يعد ينقصني إلا هذه الزبالة .. « اطفاء ».

الراوي :

زبالة ؟ هذا أبو فهد الذي تنزل كلمته على الأرض فتحرقها . لم يفهم الرقيب قصده . الرقيب لم يكن يعرف بالدعوة التي وجهها المستشار . وهذا هو الالتباس الذي حصل . ولكن حتى لو فهم وعرف ماكان سيسمح لأحد أن يحتج على رغبة أبداها المستشار .. اذن أبو وليد تظل مكانته محفوظة في كل الأحوال. « تظهر أم وليد مع زوجها وحدهما » .

ام وليد :

ما قولك يا أبو وليد ؟ ألا تستطيع وأنت في الحفلة أن تحكي لهم عن البستان ؟

ابو وليد :

ولماذا ؟

ام وليد :

لعلهم يعوضون علينا بقرشين .

ابو وليد :

تظل النسوان قليلات عقل. أصلا لهذا يقولون:

حرمة . ربنا سبحانه وتعالى حرمها من العقل والدين والطهارة .

ام وليد :

قلنا كلمة .. كفرنا ؟

ابو وليد :

يا بنت الحلال . الجماعة يرونا بعين كبيرة . وجاؤوا من باريز ليرونا ويقعدوا معناه نصغر أنفسنا ونطلب منهم مصاري ؟ ما هذا العيب ؟ أصلا أنا أفكر في أن أرد لهم الدعوة .

ام وليد :

كيف ؟

ابو وليد :

أدعوهم الى هنا .

ام وليد :

تدعوهم ؟ أنت قد هذا الحمل ؟

ابو وليد :

ولماذا لا أكون قد الحمل ؟ مَنْ أحسن مني ؟

ام وليد :

لا أرى دعوتهم ضرورية .

ابو وليد :

يا غشيمة .. اذا كانوا يرونني كبيرا يجب أن أجعلهم يعرفون أنهم لم يغلطوا بي . يجب أن يروا أنني مثلما يقدرونني وأكثر .

ام وليد :

طيب .. من أين ؟ ماذا لديك لتقدمه لهم ؟

ابو وليد :

نوصي لأصهارنا وأبناء عمومتنا . كل واحد منهم يجلب ذبيحة . أصلا يجب أن يأتي الأقارب كلهم الى الدعوة تعبىء عيون الفرنساوية . ولكي يروا أننا عائلة كبيرةوأنني مقدّر بين جماعتي « يسرح مع حلمه »وترين أكابر الفرنساوية والوجهاء والزعماء قادمينفي سياراتهم وعلى خيولهم .. والى أين ؟ لعند أبو وليد .. عز .. وترين عشائر المنطقةكلها تأتي لتطلب التقرب مني ولأجل مشاكلهم مع الفرنساوية أو مع الحكومة .. وأبو وليد يمشي رافع الرأس..ويا أرض اشتدي ماحدا قدي .

ام وليد :

الله يسمع منك . « يدخل سعيد ويجلس »

ابو وليد :

أين كان البيك ؟

سعيد :

أين ساكون ؟ في البساتين .

ابو وليد :

ولماذا لا تراك ؟ تظل دائرا من مكان الى مكان؟ متى ستعقل وتقعد في بيتك وتعبىء مركزك ؟

ام وليد :

لا تبدأ بالولد . يتسلى مع رفاقه .

ابو وليد :

تفضل على الأفوكاتو .. تدافع عنك . هات لنشوف : ماذا يحكون عنا في القرية ؟

سعيد :

هناك من لا يعجبهم ذهابك الى الفرنسيين ؟

ابو وليد :

« باستهزاء » من مثلا ؟

سعيد :

مثلا .. أنا .

ابو وليد :

« يضحك ضحكة عالية ويلتفت الى زوجته » تفضلي يا ست .. ابنك لا يعجبه ذهابي الى الحفلة . « لسعيد » ولماذا لا يعجبك ؟

سعيد :

لأنهم فرنسيون .

ابو وليد :

وما بهم الفرنسيون ؟

سعيد :

الى الآن لا تعرف ما بهم ؟ الفرنسيون هم الذين كان يقاتلهم عمي مع ابراهيم هنانو .

ابو وليد :

كان شابا جاهلا .. والدم كان حاميا . ولكن ماذا طلع مع عمك أو مع ابراهيم هنانو ؟ لا شيء . قوسوا كم ضرب فاتقم الفرنسيون من الأهالي وخربوا بيوت الناس الناس . هل هناك عاقل يضع رأسه برأس فرنسا ؟ فرنسا يا ابني دولة كبيرة وقوية ومتقدمة . فرنسا تفيدنا اذا عرفنا كيف نستفيد منها .

سعيد :

تستفيد منها ؟ ألا تسمع بما تفعله في كل أنحاء سورية .

ابو وليد :

فرنسا لا تفعل شيئا . الفرنسي راق ومتعلم ومتمدن .

سعيد :

أليس هو الفرنسي نفسه الذي يقتل الناس العزل ؟

ابو وليد :

لا . الفرنسي لا يقتل العزل . يقتل المشاغبين . تريده أن يسكت ولا يرد على الأذى ؟ لا أحد يفرّط بهيبته . هل سبق أن فعلوا شيئا لقريتنا بعد أن انتهت مشاغبات المرحوم عمك ؟

سعيد :

أتعرف لماذا استولوا على بستانك ؟ لكي ينتشر جنودهم فيه . ولماذا ؟ لكي يكونوا قريبين من من قريتنا وغيرها . لكي تتذكر دائما أن قوة الاحتلال موجودة رغما عنا .

ابو وليد :

ومع ذلك لم يفعلوا شيئا . لماذا ؟ لأن الناس هنا عقلاء .

سعيد :

عقلاء أم جبناء ؟

ابو وليد :

« ينهره » يا ولد !

سعيد :

أبي هؤلاء الفرنسيون غرباء محتلون . يجب أن نقاومهم ونقاطعهم بدل الاختلاط بهم والاحتفال معهم .

ابو وليد :

تريد أن تعلمني يا ولد ؟ انقلع من وجهي غضب الله عليك . ولد قليل الأصل .

سعيد :

« يعلو صوته » دائما هكذا . لا نستطيع أن نتفاهم معك على شيء . « ينعزل جانبا » .

ابو وليد :

« لزوجته » سمعت قليل التربية ؟ سمعت ابنك ؟

ام وليد :

طول بالك . خذه بحلمك . انت الكبير العاقل .. وهو الولد .

ابو وليد :

يدلل نفسه علي لأنه الوحيد الباقي في خلقتي. شوفي له عروسا لأزوجه وارتاح منه .

ام وليد :

بسيطة . بسيطة . الصغير يتدلل دائما..لكن أريد أن أقول كلمة يا أبو وليد .

ابو وليد :

تفضلي انت الثانية . بماذا تأمرين ؟

ام وليد :

لا تزعل ابنك .. اذا كانت هذه الحفلة ..

ابو وليد :

« يقاطعها » أقص لسانك هاه . لا تفتحي هذه السيرة أبدا .

ام وليد :

قصدي مالنا ولوجع الرأس .. نحن لانستطيع أن نجاري الفرنسيين .

أبو وليد :

سكّري على البـاقي .. أمـا آخرة تبيض الوجه .. أولاد ونسوان يسيّرونني ويشورون عـلي .

سـعيد :

أنا لا أفهم لماذا لا تناقش هذا الأمر مع نفسك أو تسمح لأحد بمناقشتك فيه .

« ويأتي الجواب زغرودة من الخارج مع صوت غنائي .. ثـم تدخل فاطمـة وأكرم يتبعهما أسعد . سعيد يخرج غاضبا » .

فاطمـة :

هي ويا أبو وليد اجتنا خبارك

هي والجاه والعز يعمروا ديارك

هي وكل مين كان بدّه يعاديك

هي يبركض ويبحط ايده بزنارك .

« تزغرد ثانية » .

ابو وليد :

« يخف لاستقبالهما بحياء مصطنع » يكفي . يكفي يا مغضوبة ، فضحتنا . سكتّها يا أكرم. سكت زوجتك .

اكـرم :

اسكتها ! صدقني لو كنت أعرف كيف أزغرد لزغردت أكثر منها . زغردي لأبيك مرة أخرى يا فاطمة .

« تفعل . يتعانق الجميع »

اكـرم :

أين سعيد؟

ابو وليد :

خرج قبل وصولكم .

اكـرم :

ابني عامر وراءنا ومعه جدي ، قد يحتاج الى مساعدة .

اسعد :

أنا أساعده « يخرج » .

ابو وليد :

ولماذا الجدي ؟

اكـرم :

كله من فضلة خيرك عمي أبو وليد .

فاطمـة :

هاتي يا أمي . احكي لنا . ما هذه الدعوة التي جاءت لأبي ؟

ام وليد .

أنا لا أعرف شيئا . اسألي والدك .

اكـرم :

بهذه السرعة سمعتم ؟

اكـرم :

منـذ البارحة . ولـو طاوعت ابنتـك كانت ستجلبني في الليل .

ام وليد :

وكيف سمعتم ؟

فاطمـة :

« تتحدث بصوت مرتفع كأنها تريد أن تسمعها القرية كلهـا » الحاسدون وحدهم يوصلون الأخبار .

اكـرم :

صدقني لم نعر في قرية من هـذه القرى الا وسمعناهم يحكون بأخبارك .

فاطمـة :

وحين يعرفون أنني بنت أبو وليد لا نعودنأخذ وعينا ولا نعرف كيف نتخلص منهم .

اكـرم :

ونقول لهـم يا عمي مستعجلون .. نريد أن نلحق عمي أبـو وليد قبـل أن يذهب عنـد المستشار .

فاطمـة :

متى ستذهب يا أبي ؟ « يدخل أسعد » .

اكـرم :

ربطت الجدي ؟

اسعد :

ربطته .. قسما بالله لو كان عنـدي سلاح لقوست عشرين ضربا لعيون عمي أبو وليد .

ابو وليد :

الله يديم حبكم لنا . تفضلوا . تفضلوا .

« يدخلون » .

أسعد :

« يلتفت الى أم وليد » خالتي أم وليد . نسيت ماذا كنت سأقول . اي . اي . تذكرت . كرمنا الغربي .. تعرفينه . القسم المجاور للجسر غير مزروع . العشب فيه الى الركبة . لماذا لا تأخذين البقرة وتطوّلين لها بحبل لترعى هذا العشب؟ والساقية قريبة .. تأكل وتقيّل .

ام وليد :

« مازحة » والعجل ؟

اسعد :

يجب أن ينزل العجل أيضا . يظل محبوسا في البيت ؟ يجب أن يشم الهواء . خذي حبلا له أيضا واربطيه قرب أمه .

ام وليد :

على خير ان شاء الله « تدخل » .

« يظل أسعد في جهة . وسعيد المنعزل وحده والغارق في أفكاره في الجهة اليسرى أسعد يجلس الى جانبه » .

أسعد :

بربك .. ألست فرحا من أجل أبيك ؟

سعيد :

قم من هنا .

أسعد :

مـاذا ؟

سعيد :

قم من هنا . لا أريـد أن أراك . لا أريد أن أرى أحدا . فهمت ؟

أسعد :

صرت تتكبر علينـا لأن والـدك من ضيوف المستشار ؟ ولو أخي سعيد نحن أهل .

سعيد :

يا أخي لا أريد أن أسمع سـيرة والدي ولا سيرة المستشار .

أبو فهد :

« يخرج من منزله وكأنه كان يسمع الحوار» صرت تنزعج من هذه السيرة يا سعيد ؟ وهذه الزغاريد الآتية من بيتكم .. من الذي كـان يزغرد ؟ أنت ؟ أم أبوك ؟

اسعد :

آخته . أخته وصهره .. الخبر وصل الى القرى كلها .

ابو فهد :

بهذه السرعة ؟

اسعد :

ولو عمي أبو فهد .. اذا كانت سمعه عمي أبو وليد قد وصلت الى باريز فلماذا لا تصل الى القرى المجاورة ؟

ابو فهد :

معك حق .. وسمعت أن لديك عرانيس ممتازة .. لماذا لم تطعمنا منها .

اسعد :

أنا أبيع بالمرنوس وبالرطل فكيف تريد ؟

ابو فهد :

اجلب العرانيس ولن نختلف .

اسعد :

« يهمس لسعيد » يظن أنني سأطعمه العرانيس مجانا . فشر ، أبوك أحق منه .

سعيد :

من شان الله حل عني واتركني بحالي .

« يبدأ أهل القرية بالظهور في أرجاء مختلفة من المسرح في الوقت الذي يظهر فيه أبو وليد ووراءه أكرم في مشية استعراضية . وكأن أهل القرية قد خرجوا للتفرج عليه » .

« أسعد يركض ويمشي مع أكرم وراء أبي وليد الذي يضع المغلف في جيبه بشكل بارز ومقصود » .

اكرم :

انتبه عمي أبو وليد . سيقع الكرت .

أبو وليد :

المشكلة أن الكرت كبير وجيبي صغير . على كلٍّ خلك ورائي لكي تنبهني اذا وقع .

اسعد :

وأنا معه عمي أبو وليد . كلنا وراءك ..

« يأتي عدد من الأهالي ويمشون وراءه » .

ابو وليد :

الله يرضى عليك يا أسعد .

ابو فهد :

« يهمهم من مكانه مغتاظا » عشنا وشفناصار الحفيان يمشي وورا عزوة .

ابو وليد :

« يلتفت اليه بشكل مقصود » مرحبا ابوفهد

ابو فهد :

« بصوت لا يكاد يسمع » أهلا .

ابو وليد :

أين أنت يا ابن الحلال ؟ لم نعد نراك .

ابو فهد :

مشغول .

ابو وليد :

تظل مشغولا ؟ يلعن أبو الشغل . العمر يخلص والشغل لا يخلص يا رجل . تعال تمشى .

ابو فهد :

رفقتك معك . تمشى وادع الله ان تدوم لك.

ابو وليد :

« يحرك يده حركة مقصودة فيوقع المغلف يركض أسعد وأكرم لأخذه عن الأرض .

يناوله أحدهما لأبي وليد الذي يلتفت بشكل مقصود الى أبي فهد » المشكلة أن جيوبنا صغيرة . عمرنا لم نحسب حساب أن تأتينا كروت كبيرة بهذا القدر « يضحك » نحتاج أن نسوق أمامنا حمارا لكي نضع ظرفا كهذا في الخرج . « يضحك وتضحك مجموعته معه يتقدم نحو المجموعة التي فيها أبو يوسف » السلام عليكم « يردون التحية بهمس بصوت نصف مسموع » أنا أعرف أن عبد الجليل سينفلق من دعوة المستشار « يضحك مع حاشيته » ماذا تفعل للحسد ؟

ابويوسف:
تريد الصراحة يا أبو وليد ؟ نحن أيضا لا تعجبنا هذه الدعوة « همهمة موافقة » .

ابو وليد :
« ساخرا » الحق على المستشار كان يجب أن يستشيرك .

اسعد :
لو جاءت الدعوة لواحد منهم لتغير كلامهم .

ابو يوسف :

لا يا أسعد . لا يتغير كلامهم . لو جاءت الدعوة لواحد غيره لما ذهب .

اكرم :

« يريد تلطيف الجوء » يا عمي لا يستطيع . اذا كانت فرنسا تريدك أن تذهب فهذا يعني أنك يجب أن تذهب .

سعيد :

ولماذا يجب أن يذهب ؟

ابو وليد :

جئت تناقشني هنا يا سعيد ؟ ألا تستطيع أن تناقش في البيت .

سعيد :

لا . في البيت يصبح النقاش بين أب وابنه .

ابو وليد :

« غاضبا » وهنا ؟

سعيد :

هنا نناقش كلنا مسألة متعلقة بالقرية كلها . « يلتفت الى الآخرين » . هل كل ما تريده فرنسا يجب أن يصير ؟

ابو وليد :

« بحدة » طبعاً . كل ما تريده يصير .

سعيد :

واذا أرادت أن تبقى في بلادنا ؟

ابو وليد :

تبقى .. أم أن حضرتك ستمنعها ؟

ابو يوسف:

ولماذا يقوم الناس بالثورات اذن ؟

اكرم :

قلة عقل .

اسعد :

كبر معلاق .

سعيد :

أسعد ضب لسانك ودع الكبار يتحدثون .

اسعد :

أنا أتكلم بحضور والدك .

ابو وليد :

سعيد . تسكت الرجل في حضوري ياسعيد؟

ابو يوسف:

لا تحولوا الموضوع .

ابو وليد :

بماذا تأمرني حضرتك ؟

هـاني :

« يتقدم من أبي وليد » يا عمي أبو وليـد . انت رجل محترم وعاقـل . تستطيع أن تفهم الموضوع بنفسك ليس من المعقول أن تذهب الى الفرنسيين بينما غيرك يقاتلهم .

ابو وليد :

اسمع يا ولـد . لا تحاول أن تعلمني عـلى الثورات والمراجل . يوم كانت عائلتنا تقاتل مع الثورة لم تكن انت قد فقست عنك البيضة. كلمه يا أبو يوسف . احك لـه عن المرحوم أخي .

سـعيد :

وما الذي تغير ؟ الفرنسيون مازالوا هنا ولم يتغيروا .

ابو وليد :

تغيروا . تغيروا كثيرا صاروا منـا وفينـا . تغيرت معاملتهم لنا .

ابويوسف:
يا أبو وليد .. ما الذي تغير في معاملتهم ؟ ألا تسمع بما يفعلونه في القرى الأخرى ؟

ابو وليد :
لأن الفلاحين فيها يعملون مشاغبات . الفرنسيون لا يؤذون أحدا اذا لم يتحرش بهم وهذا طبيعي ، حتى نحن لا نسكت اذا تحرش بنا أحد .

هاني :
الفرنسيون يتحرشون بنا فلماذا نسكت ؟

ابو وليد :
كذب . انهم لا يتحرشون بنا .

هاني :
بل يتحرشون بنا ويهينوننا بمجرد أنهم في بلدنا رغما عنا .

ابو وليد :
هذه أمور أكبر من أن تفهمها أنت .

سعيد :
لكنهم أخذوا بستانك وسكت .

ابو وليد :

فلقتني ببستاني • لا ياسيدي • لم يأخذوه• نزل بعض جنودهم في البستان • ونصبوا خيامهم • ماذا يعني ؟

هاني :

يعني أنك لم تعد تستطيع دخول بستانك • لأنهم جيش • عسكر • طبيعي أن لا يقترب منهم المدنيون •

ابويوسف:

بدأوا يبنون بيوتا بدلا من الخيام •

ابو وليد :

الشتاء على الأبواب • طبيعي • الخيام لا تسترهم •

ابويوسف:

قل إنك تريد أن تسامحهم بالبستان •

ابو وليد :

يا سيدي أسامحهم • ما علاقتك أنت ؟ بستاني وأنا حر فيه •

ابو يوسف:
لا يا أبو وليد لست حرا فيه • ولن نرضى أن يشعروا أنهم يستطيعون الاستيلاء على أرزاقنا ونحن ساكتون •

سعيد :
ويتحدث عن حريته كأنهم استشاروه حين أخذوا البستان •

اسعد :
تطول لسانك على أبيك يا سعيد •

سعيد :
اخرس انت •

اكرم :
اعرف كيف تكلم والدك يا سعيد • عيب

سعيد :
عيب علي ؟ أم عيب عليكم أنتم ؟ أنتم الذين تزينون له الذهاب • أنتم الذين تورطونه • أنتم الذين ستجعلوننا مسخرة بين الناس •

ابو وليد :
رح من وجهي ولاك • روح من وجهي أحسن ما ابتلي بك •

هاني :

تستطيع أن تسكت ابنك بالقوة ، ولكنك لن تستطيع إسكات القرية كلها .

أبو يوسف:

ومنذ اليوم سنعتبر أننا نحن في طريق وأنت في طريق .

ابو وليد :

« يتطلع حوله مستفزا » كأنكم كنتم تنتظروني ، كأنكم متفقون ضدي .. لماذا ؟ لأنني ألبي هذه الدعوة ؟ علي أنا تمرون هذه الألاعيب ؟ أنا أعرفكم . أنا عجنتكم وخبزتكم . كل واحد منكم كان يتمنى هذه الدعوة . كلكم تتمنون أن تلحسوا أقدام الفرنسيين . « فيما هو يتحدث يشيحون بوجوههم عنه ». لماذا تخجلون من قولها علنا ؟ ما بها فرنسا ؟ فهموني . فرنسا بلد متقدمة . الفرنساوية جلبوا لنا أشياء لم نكن نحلم بها . انزلوا الى المدن وشوفوا . جلبوا كهرباء . جلبوا المياه النظيفة الى البيوت . عمروا عمارات . فتحوا

طرقات عملوا جنائن • نحن فلاحون • نحن نحتاج الى معونة فرنسا • فرنسا ستعلمنا كيف نتقدم • كيف نزرع • كيف نشتغل ونرتب أنفسنا ونعيش حياة نظيفة • هل نظل في الفقر والوسخ والقمل ؟ لماذا ؟ لأن الفرنسيين غرباء ولا نحبهم ؟ هذا كلام فات الأوان عليه • الدنيا صارت غير دنيا • ونحن يجب أن لا نظل معتدين عند أفكارنا القديمة • دعونا نستفيد منهم • أنا سأطلب منهم أن يفتحوا لنا طريقا جديدة • ومدرسة • نعم • وأعدكم أن تأتي الكهرباء الى القرية •• وأن تأتيكم آلات تساعدكم في الزراعة صدقوني ستلعبون بالقرش • جاءت والله جلبها يا جماعة • أنتم جربتم معهم كل شيء جربتم الهرب والمقاطعة•• حتى أن بينكم من جرب أن يقاتلهم • بماذا عاد علينا هذا كله ؟ بالخراب فقط • خراب وقتل وهروب وخوف • دعوني أجرب • إذا نجحت نجحنا جميعاً وإذا فشلت أفشل وحدي « ينتظر ليرى تأثير كلامه عليهم » • يا جماعة الخير •• لا تتركوا الحسد

يعميكم .. أنا أريد مصلحة القرية . وغـدا حين يرى الفرنسيون أننا نمد لهم أيدينا من أجل الخير سيصيرون مثل الأهل . كل واحد من هذه القرية سيجد فرنسيا يصادقه ويتعلم منـــه .

هـــاني :

نحن لا نريد أن نصادقهم .

ســـعيد :

أقولها لك كلمة نهائية ؟ إذا ذهبـــت الى هذه الحفلة فلن ترى وجهي طوال عمرك .

ابويوسف:

وبيوتنا كلها مفتوحة لك يا سعيد .

اسعد :

كلنا أولادك عمي أبو وليد . انت أبو القرية اكلهـــا .

ابو وليد :

« يهز رأســـه بصبر » بسيطة . « يدير ظهره ويخرج ومعه جماعته » .

« يسود صمت قصير .. »

أبو فهد :

« يتحرك من مكانه » وسكتم له ؟ أليس من المخجل أن تسكتوا له ؟ لم تجدوا كلاماتردون به عليه ؟ أنا لم أتكلم لأنه يظن أنني أحسده • هذا المجنون سيبهدل اسم القرية • غدا لن نستطيع أن نرفع رؤوسنا بين الناس • أصلا لو كان فينا شرف كنا نمنعه بالقوة • « يزداد حماسه » يا جماعة • هذا استعمار • فرنسا احتلت بلدنا • فرنسا عدوتنا • وعيب على شارب كل من يضع يده في يدها • يجب أن أن نتوقف كلنا عن التعامل مع أبو وليد • يجب أن يعرف الجميع أن من يضع يده في يد فرنسا فنحن لن نتعامل معه بحق أو بباطل « يصل الى سعيد » أما أنت يا سعيد فقد كبرت في عيني والله • وليشهد علي أهل القرية أنت مثل ابني • بيتي بيتك ورزقي رزقك •• وزواجك علي باذن الله •

« اختتام المشهد بأغنية

المجموعة :

نحن عنا إحتلال

وهو عنده احتفال .

ابو وليد :

اذا حضرنا وراعيناه

بلكي ان شاء الله يمشي الحال

اسعد :

يعني اللي بيركب له كديشه

وبيمشي حالة بتدفيشه

مثل اللي بيرمح خيال

مثل اللمعة فوق جبال

ابو فهد :

ربك ليش بيطعمي الحمص

للمنحوس المالو ضراس

وبيخلي شرشوح مدتب

بليلة سودا يصفي راس

المختار :

والمثلي يعيش بوسواس

قلقان ومشغول البال

ابو وليد :

راح يصفى عزي فوق الغيم

وبتصفى ع راسي ريشة

راح أعيش معزوز مكرم

تصفى لي بها الدنيا العيشة

وتصير الحالة عال العال .

* * *

الفصل الثاني

« يبدأ الفصل بالأغنية التي اختتم بها الفصل الأول » .

الراوي :

أهلا بكم .

أظن أن الهدف من هذه المسرحية صار واضحا .. فالصراع الذي دار في القرية كان محوره فكرة بسيطة هي : كيف نتعامل مع العدو المحتل ؟ هل نختلط به ؟ نحاوره ؟ نخاصمه ؟ نقاتله ؟ هل هناك امكانية لقيام علاقة حسنة معه ؟ أو للاستفادة منه ؟.

لقد رأيتم أصحاب وجهات النظر كلهم تقريبا . وسمعتم آراءهم وجدلهم .

وسنرى الآن كيف تتم الاستعدادات لهذا الاحتفال :

« يضاء مكتب المستشار . الراوي يتقدم منه . المستشار يتطلع اليه باسما . »

المستشار:
ألن نبدأ ؟

الراوي :
سنبدأ . ولكن أريد أن أعرف ما يدور في ذهنك . لماذا وجهت الدعوة لأبناء البلد لحضور الاحتفال ؟

المستشار:
فكرة عظيمة .. أليس كذلك ؟ اسمع . انتقيت رجالا يمثلون عشائر وطوائف وديانات وعائلات . سنكسبهم الى صفنا فنكسب معهم من يمثلونهم .. وهناك بعض المتضررين من وجودنا نرضيهم ونكسبهم أيضا .

الراوي :

كيف سنكسب المتضررين ؟

المستشار:

بدل أن يبقى المتضرر وحده لينمّي بينه وبين نفسه أو بينه وبين المتعاطفين معه أفكارا هدامة.. نقربه منا فيفكر في الفوائد التي يمكن أن يكسبها .. إضافة الى التنافس الذي سيحدث في كل مكان لإرضائنا وللوصول الى امتياز مثل مسألة دعوتهم .. لقد أبقيتها سرا حتى على عناصرنا هنا . هذه مفاجأتي التي ستهز الدنيا . لا أريد أن تخطر هذه الفكرة لأي حاكم عسكري أو مستشار في سورية كلها .

الراوي :

وخلال الحفلة .. أين ستضعهم ؟ تتركهم منعزلين وحدهم ؟ تتركهم يختلطون بالمدعوين الآخرين ؟

المستشار:

لا تشغل بالك بهذه المسألة . المهم أنه حين يبدأ الاحتفال سيكون هناك تصوير . وسيظهر

العرب في الصـــور مختلطين بنـــا ومنسجمين معنا .. نسيت ان أقول لـــك .. تعمدت أن يكون بين هؤلاء السكان المدعوين بعض ممن يتحدثون بالفرنسية . هؤلاء سنجري معهـــم مقابلات للاذاعة نرسلها الى باريس .

الراوي :

ولكن هل حسبت حساب احتمالات أخرى ؟

المستشار:

المشاغبون ؟ اطمئن .

الراوي :

لا . أقصد المدعوين أنفسهم . هؤلاء لهـــم عادات مختلفة .

قد لا يحسنون التصرف . وقد يفسدون جو الحفلة . ألا تخشى أن يأخذوا حريتهم أكثر من اللازم ؟

المستشار:

« يضحك » نحتملهم قليلا . كلها ســـاعة .

ويبدو لي أنك لا تعرف هؤلاء الناس جيدا .

الراوي :

ماذا تقصد ؟

المستشار:

أقصد أنك لو وضعت واحدا منهم مكاني هنا على هذا الكرسي .. ماذا سيفعل ؟ قد يتجبر على أبناء بلده . لكنه سيظل يخاف من أي جندي فرنسي .

الراوي :

هل سيحتفلون وهم خائفون ؟

المستشار:

لا . لكنك ستراهم مرتبكين في الاحتفال . وقد تحتاج الى التحرش بهم لكي يتكلموا ويبتسموا أو يتحركوا. ابعد عن ذهنك مسألة تصرفهم بحرية أكثر من اللازم . هم يعرفون أنهم لا يملكون هذه الحرية . وعلى هذا الأساس جاؤوا .

الراوي :

وما القصد من هذا كله ؟

المستشار:

المسألة واضحة . يجب أن يرى ضيوفنا من باريس ومن دمشق ماذا حققنا خلال وجودنا هنا . الى أي درجة توصلنا فيعملية مد جذورنا بين الناس وعملية صهر الناس في بوتقتنا ؟ أنا عندي نظرية في هذا الموضوع أسميها نظرية الأبعاد الثلاثة . لكي يكون لوجودك معنى في أي مكان يجب أن يكون لهذا الوجود ثلاثة أبعاد . العمق أي أن تمد جذورك بين الناس . العلو : أي أن تظل مسيطرا على كل شيء . والأفق .. وهو أن لا تكون نظرتك محدودة وأن لاتتوقف عند مصالح محدودة. طالما أنك جئت الى هنا فضع في ذهنك أنكقد جئت لتبقى . سأحكي لك حادثة من الحروب الصليبية : كان أحد القادة أميرا من مقاطعة بروفانس عندنا في فرنسا . أتعرف ماذا أخذ معه من هذه البلاد ؟ وردة . تصور وردة . اسمها الوردة الشامية . تعرفها ؟

الراوي :

أعرفها . حتى اسمها العلمي روزاد ماسينا .

المستشار:

أخذها وزرعها في بروفانس . أضاف لبلادنا شيئا جميلا لا يمكن أن يخطر لمن تسيطر على عقولهم النزعة العسكرية . صدقني أنا أعتبر نقل هذه الوردة الى بلادنا أهم ما حققناه في الحروب الصليبية . ألا توافقني ؟

الراوي :

يدهشني كلامك .

المستشار:

لا يغرك لباسي العسكري . أنا مثقف وحضاري قبل أن أكون عسكريا .

الراوي :

يكفي الى هنا « يطفىء الضوء على المستشار ويتقدم من مكان آخر في جانب المسرح جلس فيه هاني وسعيد . وهو يتحدث » كل طرف كان يستعد لهذا الاحتفال على طريقته .

هاني :

« يحدث الراوي » ما الأخبار ؟

الرازي :
قام الفرنسيون بحملة اعتقالات واسعة واعتباطية .

سعيد :
لماذا ؟

الراوي :
لكي يضمنوا أن يسير الاحتفال كما يخططون. اعتقالات احترازية .

وأنتم ماذا قررتم ؟

حقي :
هذا ما جئت سعيد من أجله . سننزل عند الفجر الى مقر الاحتفال .

« يلتفت الى سعيد » لماذا لم تجلب سلاحك معك ؟

سعيد :
كيف سننزل به الى المدينة ؟

الراوي :
الذين يحملون السلاح سيكونون عناصر حماية

للذين ينفذون العملية • تقديري أنه بعد حدوث التفجيرات ستسود الفوضى وسينشغل الفرنسيون بحماية ضيوفهم •

سعيد :

من أولاد البلد ؟

الراوي :

لا • هؤلاء لن يهتموا بهم • ضيوفهم الذين جاؤوا من باريس ومن دمشق • قد تحتاجون أنتم لحماية أبناء البلد لأنهم سيهربون عند وقوع الانفجار •

« يفاجئهم عبده من وراء الراوي » •

عبده :

سعيد لا يعرف كيف يصوب جيدا بالبندقية، أنا أشطر منه •

« يلتفتون اليه » •

هاني :

عبده •

عبده :

آنا أشطر من سعيد لماذا لا تأخذونني بدلا منه؟

سعيد :

ومن قال لك إنك أشطر مني ؟

عبده :

اجلب الجفت ونجرب أمامهما .

سعيد :

جفت ؟ من أين الجفت ؟

عبده :

تريد أن تتكلم الآن ؟ أنا أعرف أنكم مع الثورة « لهاني » وأتمنى لو تقبلونني معكم.

هاني :

ان شاء الله . مع الأيام سيقبلونك.وسيشترك الشعب كله في الثورة .

عبده :

ولماذا الانتظار ؟ أرسلوني منذ الآن بدلا من سعيد . سعيد سيرتبك .

سعيد :

ولماذا أرتبك ؟

عبده :

لأن والدك سيكون في مقر الاحتفال . «يسود صمت قصير» .

سعيد :

لن أتراجع. سأجلب جفتي وأعود. «يخرج» .

الراوي :

« كأنه يعتذر للجمهور . »

لا . لا . لم أنس قصتنا . أبو وليد أيضا يستعد للاحتفال . وها نحن نرجع الى حيث تركناه .

« أبو وليد وأم وليد وأكرم وفاطمة مع سقوط الاضاءة على المشهد أكرم يخلع سترته ويناولها لأبي وليد » .

اكرم :

تلبس هذه الجاكيت .

ام وليد :

ألف مرة قلنا له يجب أن يكون عندك هدم مرتب . لا يسمع كلامي .

ابو وليد :

هل سنظل نحكي في هذا الموضوع ؟

فاطمة :

أمي معها حق يجب أن تكون لديك ملابس مرتبة .

أبو وليد :

ولماذا الملابس المرتبة ؟ لكي أنزل بها الى الكرم ؟ أم لكي أسهر بها عند المختار ؟ أي شيء يستر والسلام .

ام وليد :

اعجبك الآن أن لا تجد ما تلبسه لتنزل عند المستشار .

ابو وليد :

« يأخذ السترة ويلبسها » مليحة .. مارأيكم؟

فاطمة :

مليحة . اخلع هذه الحطاطة لنغسلها لك .

ام وليد :

سأغسلها قبل أن تنام ولن يأتي الصباح الا وتكون نشفت .

اكرم :

ظلت الكندرة .

ابو وليد :

« باسما » هذه أصعب شيء .

ام وليد :

كله الا أن تنزل حافيا كما نزلت أول مرة .

فاطمة :

« تشهق » لعند المستشار .

اكرم :

مالك حق أن تنزل حافيا .

ابو وليد :

أخذوني بسرعة . ما تركوا لي المجال لأفعل شيئا .

ام وليد :

يعني لو تركوا لك المجال كنت جئت تنتقي الكندرة السوداء أم الحمراء ؟ « لأكرم » ما عنده كندرة .

اكرم :

لا . هذا كثير .

فاطمة :

جرب كندرة أكرم .

اكرم :

كندرتي وسيعة • رجلي أكبر من رجله •

ابو وليد :

تظلين تطلعين دقرا • قسما بالله أنزل حافيا •

فاطمة :

« لأمنا » اسكتي • لا تغضبيه •

اكرم :

والحل ؟

فاطمة :

يجب أن يشتري كندرة •

ابو وليد :

لا تَنقتي مثل أمك •• من أجل هذا المشوار اشتري كندرة ؟ كل حاجتي اليها ثلاث أو أربع ساعات •

اكرم :

كيف ثلاث أربع ساعات ؟ غدا نصف أهالي المنطقة سيجيئون اليك للتهنئة وربما للواسطة مع الفرنسيين وقد يكلفونك الى حفلات عندهم أو لتقطيع المشاكل • وربما أن

الفرنسيين بعد أن يصيروا أصحابك سيظلون يجيئون الى هنا ويزورونك أو تزورهم .

ابو وليد :

معك . معك . ولكن لم يبق لدينا وقت للشراء . لم يخطر لي موضوع الكندرة الا الآن . سأستعير كندرة واحد من الجيران .

ام وليد :

من ؟

اسعد :

« الذي يقف بالباب ومعه كيس » أنا .. يأخذ كندرتي « يضع الكيس أمام أم وليد » أكلة عرانيس خالتي أم وليد « ثم يخلع حذاءه ويقدمه لأبي وليد .. الذي يجربه .. بينما فاطمة تتطلع الى العرانيس » مليحة ؟

فاطمة :

مليحة .

اسعد :

أسأل عمي أبو وليد . مليحة الكندرة ؟

ابو وليد :

مليحة . قاسية على رجلي قليلا .. لكنني سأحتملها .

فاطمة :

والعرانيس ممتازة .

اسعد :

ألف صحة .

ام وليد :

أنزلها معك الى المستشار .

ابو وليد :

« يتطلع اليها مستنكرا » المستشار ؟

اسعد :

لا . لا . تسلوا أنتم بهذه العرانيس . واذا أحب عمي أبو وليد أن يأخذ آكلة عرانيس للمستشار أنا أتنقي له ما يبيض الوجه .

ابو وليد :

عرانيس للمستشار ؟

فاطمة :

طبعا عيب أن تنزل ويدك خالية .

ابو وليد :

ولكن .. عرانيس ؟..

اكرم :

إي . إي . عرانيس . يجوز انهم في بلاد فرنسا ليس عندهم عرانيس .

اسعد :

عمي ابو وليد .. واذا أعجبتهم العرانيس وطلبوا أن يأخذوا معهم كم أكله الى باريس يا حيّاك . البستان كله على حسابك .

ابو وليد :

« يهز رأسه ... ويحاول المشي » عقلك أقل من عقول النسوان « يتألم من قدمه » في المشي تؤلمني قدمي في الحذاء .

ام وليد :

لقلة العادة .

ابو وليد :

الأفضل أن لا ألبسها الا وأنا جالس .

فاطمة :

كيف ؟

ابو وليد :

احملها حتى باب السرايا • وهناك البسها وأدخل بها •

فاطمة :

اقطع يدي ان لم تنسها في جيبك وتدخل دون أن تلبسها •

ابو وليد :

تريدين أن تتسخري علي في آخر عمري ؟

اكرم :

لا تزيدها على أبيك •

الغريب :

الله يمسيكم بالخير •

ـ أهلا تفضل •

الغريب :

أليس هذا بيت أبو وليد عمران الحامد ؟

اسعد :

وصلت •

ابو وليد :

نعم • تفضل • « ام وليد تقدم له كرسيا » •

الغريب :

الله يزيد فضالك ، سمعنا ان الفرنسيين دعوك الى الاحتفال عندهم غدا .

ابو وليد :

اي نعم يا عمي . خير ؟

الغريب :

يعني .. أكيد ان مكانتك عند الفرنسيين هي التي جعلتهم يوجهون لك هذه الدعوة .

اسعد :

مبينة .. مثل عين الشمس .

اكرم :

اسكت يا أسعد . دعنا نسمع الرجل .

الغريب :

لذلك قلت لنفسي ربما كنت تستطيع أن تخدمنا هذه الخدمة .

ابو وليد :

أمر ؟ تفضل .

اكرم :

ومن أية قرية أنت ؟

الغريب :

من نبع الدوري .

ابو وليد :

والنعم . خير يا ابني ؟

الغريب :

عندنا بعض الشباب محبوسون عند الفرنسيين . قلنا .. ربما كنت تستطيع أن تحكي كلمة من أجلهم . « أبو وليد يتنحنح مرتبكا وينقل نظره بين الآخرين » .

ام وليد :

أهذا وقت يحكى فيه من أجل المحبوسين ؟

اسعد :

لا تستخفي بعمي أبو وليد يا خالتي . غدا ترين إن لم يكن يستطيع أن يفك المشنوق من حبل المشنقة .

ابو وليد :

« يتشجع » ولماذا هم محبوسون ؟

الغريب :

لا نعرف .

ابو وليد :

أعني : هربوا تبنا ؟ أمسكوا وهم لا يحملون هويات ؟

اكرم :

خالفوا وقطعوا الحرش ؟ عملوا مشجرة فحم؟

الغريب :

لا . لا . الفرنسيون يشكون أن الشباب يعملون ضد فرنسا .

اسعد :

« بحماس » وتريد من عمي أبو وليد أن يحكي من أجل هؤلاء ؟ تريده أن يسود صفحته معهم من أول يوم؟ غدا يقولون انه يحمي المشاغبين.

الغريب :

يا ابن الحلال بدل أن تحكي كلمتين معنا تحكي بهذه الطريقة ؟ هؤلاء أولادنا .

اسعد :

أنا من أجل سمعة عمي أبو وليد ومكانته . لا أراها لائقة بحقه أبدا . هؤلاء مشاغبون .

اكرم :

يستحقون ما ينالهم .

ام وليد :

استحقوا أم لم يستحقوا . نحن لا علاقة لنا بالموضوع .

الغريب :

أولاد وغلطوا يا خالتي .. والمسامح كريم .

« يلتفت الى أبي وليد » ليس هناك شاب الا وتطلع في رأسه ذات يوم أن يفعل شيئا من هذا .. حتى المرحوم أخوك كما سمعت ..

ابو وليد :

« بتشنج » لا . لا . أبدا غير صحيح . أخي لم يفعل ذلك لماذا تريدون أن تشوهوا سمعتي وسمعة عائلتي الآن ؟ أهكذا أستطيع أن أساعدك ؟

الغريب :

ساعدني كما تشاء . تكلم من أجلهم كما تريد .

ابو وليد :

ماذا أتكلم ؟ أقول للفرنسيين . اتركوا الذين حاولوا أن يضروكم ويؤذوكم ؟

الغريب :

يا عمي أبو وليد . قسم كبير منهم اعتقل هذا الاسبوع ودون أن تجري أية حوادث تخل بالأمن .. صدقني لم يفعلوا شيئا .

ابو وليد :

« يريد التخلص من الحوار » سأرى ، سأرى، ما يمكن أن أفعله لأجلهم . حسب الجو .. « يلتفت لأم وليد » مدوا للضيف كي ينام . يلتفت اليه مجددا » متعش" ؟

الغريب :

الله يديمك . ممنونك . يجب أن أرجع فورا الى القرية . الجميع ينتظرونني لأطمئنهم .

اكسوم :

طمئنهم . طمئنهم . قل لهم عمي أبو وليد لن ينساكم « يضع يده وراء ظهر الغريب ويحدثه وهو يسير معه كأنما يرافقه خارج البيت .. اطفاء على أبي وليد ومن معه . » يعني .. كلك نظر . يجب أن لا تزيدها على الرجل . قد لا يستطيع أن يحل المشاكل كلها في زيارة

واحدة . ولكن من الواضح أنهـا لن تكون الزيارة الأولـى والأخيرة . ستتبعها زيارات ولقاءات .. يعني بعد فترة إما أن تراه عندهم أو تراهم عنده . وساعتها يمكن الحديث في كل شيء .

الغريب :

ان شاء الله . الله يسمع منك .

الكريم :

مع السلامة .

الغريب :

الله يسلمك .

« يخرجان كل من جهة » .

« في مكان آخـر من المسرح المختار وحـده يتمشى بهدوء ... سعيد يدخل متلصصا فلا يرى المختار .. يصل الى زاوية المسرح ، يمد يده فيهـا ويخرج بندقية قـديمة .. يحس بخطوات المختار يلتفت مضطربا ويخفي البندقية وراء ظهره . المختار يرى البندقية .. »

سـعيد :

من هذا ؟

المختار :

لا تخف . لا تخف . أنا عمك أبو صقر .

سـعيد :

وماذا تفعل هنا في هذه الساعة ؟

المختار :

اطمئن يا ولدي . اطمئن . رأيت البندقية فلا تخبئها عني .

«يجلس المختار أرضا وهو غارق في همومه».

سـعيد :

« لا يعرف ماذا يفعل .. يقترب منه مرتبكا » أبو صقر .

المختار :

قلت لك اطمئن . واذا لم تكن مستعجلا اجلس معي قليلا .

سـعيد :

« يتقدم بهدوء وقد أظهر سلاحه » .

المختار :

كنت أعرف أن قريتنا ليست أقل من هذه القرى كلها . كنت متأكدا أن فيها شبابا يغارون على بلدهم ويريدون أن يدافعوا عنها ضد الفرنسيين .

سعيد :

أنت المختار وتقول ذلك ؟

المختار :

لعنة الله على هذا الزمان الذي جعلنا نصير مخاتير عند الفرنسيين .

سعيد :

وما الذي يجبرك ؟

المختار :

يجبرني خوفي .. وكبر عمري وكثرة أولادي . هل أستطيع أن أقول للفرنسيين : لا أريد أن اشتغل معكم؟ سيعتبرونني عدوا يحبونني . يبهدلونني « يتطلع مجددا الى سعيد » معك حق أن تستغرب مني هذا الكلام .. صدقني أنا لا أقول ذلك لكي أجعلك تطمئن الي . أنت حر . رح خبي البارودة أينما شئت .

لكن أنا ضاقت بي الدنيا يا ابن أخي. سألتني منذ قليل ماذا أفعل هنا ؟ أنا نفسي لا أعرف. كدت أختنق وأنا وحدي في البيت . حين كلمتني في تلك المرة ارجعتني لشبابي .. يوم كنت لا أخاف .. يوم كنت لا أحسب حسابات كثيرة . والآن أتشبث في هذه البرية لأنني أرى نفسي مثل الوحش .. يا ليتني كنت وحشا . أنا حيوان بري .. لكن حيوان خائف ، أرنب . ليلي ونهاري خوف . أخاف أن يأتي الفرنسيون ليسألوا عن المختار فلا يجدونه . أخاف أن أغلط معهم . أخاف أن أقصر بواجبهم . أخاف أن يطلبوا شيئا لا أقدر أن أفعله .. أخاف أن يجبروني على مشاركتهم وهم يؤذون أولاد قريتي . هم بعدها يذهبون ويتركونني وجها لوجه أمام الناس . وحين يأتي الفرنسيون يهرب الجميع وأبقى وجها لوجه مع الفرنسيين .

سعيد :

هل أستطيع أن أسألك سؤالا « يلتفت اليه

المختار » هل يمكن أن تخاف الى درجة أن تبلغ عني ؟

المختار :

« ينهض ويقترب منه يشد على كتفه وهو يتطلع الى عينيه » لا تخف منذ الآن . أنت ماتزال شابا . لا تخف من المختار أو من الفرنسيين أو من أي مخلوق .

« يغص » لا تخف حتى من خوفي . أنا إن كنت قد صرت عجوزا أسيرا للخوف فانما يعزيني أنك وأمثالك موجودون « يشد عليه مجددا » منحتني الآن خوفا جديدا له طعم مختلف .. صرت أخاف عليك .

« سعيد يتطلع اليه بفرح وامتنان . يشد على كتف المختار .. ثم يخرج مسرعا المختار يظل وحده .. يظهر الراوي . المختار يتطلع اليه» .

المختار :

سمعتنا ؟

الراوي :

سمعتكم .

المختار :

ما رأيك ؟

الراوي :

المهم ماذا ستفعل الآن ؟

المختار :

أنا ؟ أنا لا أستطيع أن أفعل شيئا .. الناس يفعلون . كل يفعل ما يشاء . الذي يقاتل الفرنسيين لا ينتظر رأيي .. والذي يذهب للاحتفال معهم لا يهمه أمري .. والذي يدبر حياته بمعزل عن الفرنسيين لا يهمه وجودي أنا لا شيء .. لا شيء .

الراوي :

بقي شيء واحد يجب أن تفعله .

المختار :

ما هو ؟

الراوي :

كلم عمران الحامد . ابذل المحاولة الأخيرة معه .

المختار :

وهل تظن أن هناك فائدة ؟

الراوي :

حاول على الأقل .

المختار :

كما تشاء . أين هو ؟

الراوي :

ها هو .. « ينادي » يا أبو وليد . « يظهر أبو وليد » المختار يريد أن يتحدث معك . « ويقترب أبو وليد من المختار .. الراوي ينسحب »

ابو وليد :

خيرا يا أبو صقر ؟

المختار :

رأيي يا أبو وليد أنك لست في حاجة الى هذه الحفلة .

ابو وليد :

من أجل هذا تخرجني من بيتي في هذه الساعة؟

المختار :

يا أبو وليد . انت رجل عاقل .. وصفحتك بيضاء . والناس كلهم يقدرونك ويحترمونك لا داعي لأن تترك مجالا للحكي عليك في آخر عمرك .

ابو وليد :

ومن يحكي علي ؟ تظنني مهتما بحكي أبو فهد؟

المختار :

انس أبو فهد . أبو فهد كان يتمنى لو يدفع أي شيء لكي يذهب بدلا منك .

ابو وليد :

أعرف . تعلّمني عنه ؟ هو يعرف أن المسألة فيها مصلحة ومنفعة .

المختار :

أبو فهد طامع بالزعامة . وانت لست مهتما بهذه الأمور .

ابو وليد :

والله يا أبو صقر ، لا أحد أحسن من غيره .

المختار :

ماذا تعني ؟

ابو وليد :

لا أرى من هو أحسن مني . ولا من عائلته أحسن من عائلتي واذا كان جيران النبي كفارا فالحمد لله أن الفرنسيين موجودون لكي يعطوا لكل منا قيمته .. وقيمة عائلته ..

المختار :

يا سيدي على رأسي انت وعائلتك .. لكن أتريد أن تكـون أنت في طرف وكل أولادنا الذين قلوبهم على البلد في طرف ؟

ابو وليد :

لا أحد قلبه على البلد أكثر مني . اذا حسنت أموري مع الفرنسيين سأخدم البلد أكثر منكم كلكم .

المختار :

والشباب الذين يقاتلون الفرنسيين ؟

ابو وليد :

هؤلاء أولاد . يورطون أنفسهم بلا فائدة .. نحن يجب أن نوقفهم عند حدهم لئلا يجروا الخراب علينا كلنا .

المختار :

واذا كان ابنك بينهم .

ابو وليد :

« يفاجأ » ابني ؟ تقصد سعيد ؟

المختار :

أترضى أن تنزل ضيفا على الفرنسيين وابنك مع الثورة يقاتلهم ؟

ابو وليد :

ابني لا يخرج عن رأيي .

المختار :

خرج وانتهى الأمر يا أبو وليد . لا تيبّس رأسك . الآن أنت الذي تخرج عن رأي الناس .

ابو وليد :

أنا ؟ تعالوا اسمعوا .

ابو وليد :

طبعا . أنت . ابنك مع الناس وأنت بعيد عن الناس .

ابو وليد :

اسمع . اذا كانوا قد لعبوا بعقل سعيد فأنت الذي يجب أن تمنعه . هذا سيجر المصائب على القرية كلها .. وأنت مختار القرية .

المختار :

خائف على القرية ؟ أم على مكانتك عند الفرنسيين ؟

ابو وليد :

أنا لا تتغير مكانتي حتى لـو عرفوا أن ابني يتولدن . يعرفـون أنني ساربيه واضع لـه حدا .. والا فسـأتبرأ منه أمـام الفرنسيين وأمامكم وأمام الله . أنا أعرف شغلي معـه حين أعود ..

« يبتعد عن المختار .. يقف وحده .. يتهيأ للمسير .. مع تغير الاضاءة يظهر وراءه أم وليد وفاطمة وأكرم وأسعد وبعض أهل القرية وهم يقدمون له الملابس والحذاء ويغنـون له متكاين موكبا يطوف المسرح » .

عمي يا رايـح ومانـك سـايح
انـت المعـزب أبـو الدبايـح
اللـي بعـزك كثـروا الملايـح
يا رايح راجـع مغنـوم ورابـح
لميـن هالمنسف يكرج على حروفه
هاي منسف بوولـيد ونحن الليلة ضيوفه

لميـــن هالطلة طلـــة ســـبع الغاب

هايطلة بوولـيد افتحت له الأبواب

لـــين هاللمعـــة هاي لمعـــة سيوفه

نجومنا وقمرنا جايـــة حتى تشوفه

دايم دوم ودايم دوم

كله كوم وهادا كوم

عزك عالي بين القوم

لا تسمع لكثر اللوم

« تتغير الاضاءة على الموكب لنجده وقد صار أمام جندي فرنـــي يقف حارسا بباب السرايا الجندي يقف في طرف المسرح بحيث أن الموكب كله ينحشر في زاوية ضيقـــة .. وفي المقدمة أبو وليد أمام الجندي ..

الجندي :

الى أين ؟

ابو وليد :

« باعتداد » أنا امدعو هنا .

الجندي :

اليوم عطلة .

ابو وليد :

أعرف . أعرف . « يقدم له البطاقة وهو يتطلع باعتداد الى الآخرين » .

الجندي :

« يتطلع الى البطاقة مستغربا .. يهز رأسه » ادخل .. « يفتشه تفتيشا دقيقا ثم يدخله . يتطلع الى الآخرين » وهؤلاء ؟

ابو وليد :

جماعتي .

الجندي :

مدعوون أيضا ؟

ابو وليد :

لا .

الجندي :

« للآخرين » ابتعدوا .. قفوا هناك . « يقفون بعيدا وهم يتطاولون على أصابعهم

ليروا أين دخل ابو وليد فرنسيان يدخلان يحييهما الجندي » .

يصعدان الدرج . أبو وليد يتقدم ليلحق بهما الى الدرج » .

الجندي :

هيه . أين تذهب ؟

ابو وليد :

الى الحفلة .

الجندي :

ابق عندك . أترى هذه الزاوية ؟ تبقى هناك ولا تتحرك . « يقف أبو وليد وحده حيث أشار له الجندي . آخرون يدخلون ويصعدون الدرج . أبو وليد يظل وحده . ينقل ظهره بين الجندي وبين جماعته . يحس بشيء من الارتباك .. يداريه بأن يهرب بنظره عن جماعته ويشغل نفسه بالتفرج على السقف .. جندي آخر يقترب من الجندي الأول » .

جندي٢ :

« يشير الى أبي وليد » من هذا ؟

جندي١ :

لا أعرف معـه بطاقة . انظر « يتطلع اليهـا الجندي . ثـم يهز رأسه باستخفاف . يشير الى جماعة أبي وليد » وهؤلاء ؟

جندي١ :

كانوا معه .

جندي٢ :

« يقترب منهم » لمـاذا تتجمعون هنا ؟ هيـا ابتعدوا .

« يدفعهم فيخرجهم من المسرح . أبو وليـد يبدو عليه الارتياح لأنهم لم يعودوا يرونه . برهان رجل آخـر في سن أبي وليد بملابس قروية يقف أمام الجندي الثاني وبطاقته بيده » أنت أيضا ؟ « يفتشه » ادخل ، قف قرب ذلك الرجل ولا تتحرك ، فهمت ؟

برهان :

حاضـر .

« الجندي الثاني يتطلع مجددا الى البطاقتين ثم الى زميله » .

جندي٢ :

هل كنت تعرف بمسألة هذه البطاقة من قبل؟

جندي١ :

لا .

جندي٢ :

أرسلوني لأساعدك عند الباب . ولم يذكروا عنها شيئا .

جندي١ :

سنفهم الأمر بعد قليل . ابتعد عن الباب . جاء ضيوف .

« يفسحان المجال لضيوف فرنسيين يدخلون ويصعدون الدرج » .

« في الطرف الآخر أبو وليد وبرهان » .

ابو وليد :

أنا عمران الحامد من دير الهوى . أبو وليد.

برهان :

تشرفنا . أنا برهان اليوسف .

ابو وليد :

حضرتك معزوم الى الحفلة ؟

برهان :

نعـــم .

ابو وليد :

أين سنذهب الآن ؟

برهان :

لا أعرف . قالوا لي أن أقف هنا . كنت أظن أننا سنذهب الى غرفة المستشار .

ابو وليد :

يجوز أنه مشغول .

الآن ينهي شغله ويستقبلنا .

« المستشار يدخل من الباب الخارجي . يحيه الجنديان .

وراء المستشار مرافق .. يمشي وراءه مسرعا ويصعد الدرج . أبو وليد وبرهان يقفان وهما يتطلعان اليه » .

ابو وليد :

هذا هو المستشار .

المستشار:

ما هـذا يا ميشيل ؟ كـان يجب أن تغسلوا الأشجار منذ البارحة لكي تنشف . هل تريد أن يقف الضيوف تحت الأشجار والماء يقطر على رؤوسهم وملابسهم ؟ « يكمل صعـود الدرج ويختفي مع مرافقه » .

ابو وليد :

لم يرقا . والا لكان سلم .

برهان :

تعرفـه ؟

ابو وليد :

« بثقة وتبجح » أعرفه . ويعرفني .

برهان :

سمعت مـا كان يقوله عن غسيل الأشجار ؟ صدق من قال يا أبو وليد . عش كثيرا تـر كثيرا . من كان يخطر له أن الشجر يغسل ؟

ابو وليد :

يا عمي هذه فرنسا . وليست جماعتك الصج. أتعرف ؟ اضافة الـى أن لون الشجر يصبح

أجمل .. العلم بيد الله ان الغسيل يقوي الشجر . ألا ترى أن الشجرة حين ينزل عليها المطر تهتز فرحا؟هذا يفيدها أكثر من السقاية.

برهان :

سبحان الله . نحن فلاحون ونرى ذلك . بأعيننا ولم يخطر لأحدنا يوما أن يغسل شجرة.

ابو وليد :

تتعلم . هذه فائدة المعاشرة . تعرف ؟ يخطر لي الآن لماذا ربنا سبحانه وتعالى ينزل المطر من السماء ولا يكتفي بمياه الينابيع ؟ لكي يغسل الشجر . طبعا . والا كانت مياه الينابيع تكفي للسقاية . سبحان الله هؤلاء الفرنسيون يفهمون أكثر منا حتى على ما يريده ربنا . لم يبق الا أن يعلمونا الصلاة ـ « يضحك » .

برهان :

خلص . اعتبارا من اليوم سأغسل أشجاري مرة كل اسبوع .

ابو وليد :

إي طول بالك . نحن لا نغسل أنفسنا مرة كل

اسبوع . « يضحكان .. الجندي ينهرهما : هس فيسكتان » .

« ضابط فرنسي يدخل من الباب ويصل الى أسفل الدرج ثم ينتبه لوجود أبي وليد وبرهان » .

الضابط :

ما هذا ؟ ماذا تفعلان هنا ؟ « يتجه اليهما » .

ابو وليد :

يا سيدنا نحن .. نحن المدعوون الى الحفلة.

الضابط :

مدعوون ؟ « يلتفت الى الجندي الحارس » كيف سمحت لهما بالدخول ؟

الجندي :

لا أعرف يا سيدي . كان كل منهما يحمل بطاقة « يقدم له البطاقتين ويعود الى مكانه الضابط يتصفح البطاقتين .. يبربربالفرنسية ثم يلتفت اليهما . »

الضابط :

اسمع تجلس أنت وزميلك هنا دون حركة

مفهوم ؟ سأعرف ما هـذه القصـة العجيبة .
« يصعد الدرج بسرعة » .

« أبو وليد وبرهان يجلسان ويراقبان الباب دون كلام » .

« رجل وامرأة يدخان ويتجهان الى الدرج . الحارس يحييهما بانحناءة وابتسامة » .

ابو وليد :
يبدأ المعازيم يصلون .. « وراء الرجل والمرأة يدخل حاتم . فلاح آخر معه بطاقة . الجندي الأول يأخذ منـه البطاقـة الجنـدي الثاني يفتشه . » .

برهان :
هل انتبهت الى ما يحدث ؟

ابو وليد :
مـاذا ؟

برهان :
هناك من يدخلون دون أن يفتشهم !

ابو وليد :
هؤلاء فرنسيون .

برهان :

وماذا يعني ؟ لماذا لا يفتشون الا جماعتنا ؟

ابو وليد :

يا سيدي معهم حق . جماعتنا أرذال .

« حاتم ينتهي من التفتيش ويدخل . الجندي يشير الى مكان جلوس برهان وأبي وليد فيتجه اليهما » .

حاتم :

السلام عليكم .

— وعليكم السلام .. « يجلس قربهما » .

حاتم :

لماذا نجلس هنا ؟

برهان :

ضابط قال لنا أن نجلس هنا .

حاتم :

ولكن الآخرين يصعدون الى الطابق الثاني كأن الحفلة هناك .

ابو وليد :

اجلس . اجلس تظن نفسك في قريتك ؟

حاتم :

وما بها قريتي ؟

ابو وليد :

قصدي : هؤلاء الفرنسيون منظمون • كل شي عندهم له تنظيم وترتيب • نحن عدم المؤاخذة ، شغلنا كله فوضى • حين يأتي دورنا سياخذوننا هناك •

حاتم :

لا بالله • أنا لا يعجبني الجلوس هنا •

برهان :

اقعد بلا مشاكل •

ابو وليد :

ربما الحفلة هنا • قد ينزلون كلهم الى هنا • الا ترى أن المكان هنا واسع ؟

برهان :

معك حق •

ابو وليد :

ليس هناك ما هو أحلى وأجمل من النظام « يشير الى الجندي الفرنسي » انظر ما أحلى

هؤلاء الشباب • ما شاء الله • بيض وشقر • الواحد منهم تعشقه أخته • نحتاج الى الكثير حتى نصير مثلهم •

حاتم :

ما علاقة هذا الكلام بجلوسنا هنا ؟ يا لله أرى نفسي صغيرا وأنا جالس هكذا •

برهان :

طول بالك طول بالك •

كل شيء في وقته حلو •

« ينزل من الأعلى جندي فرنسي ومعه مصور يحمل عدته • الجندي يشير الى الثلاثة • يتقدم المصور • يضع الكاميرا •• يتأملهم • يتأمل المكان » •

المصور :

قوموا معي •• « ينهضون • والمصور يقلب المكان بنظره • يصل الى أسفل الدرج » هنا • أين العلم ؟ علقه هنا « الجندي يعلق العلم الفرنسي •• المصور يمسك أبا وليد ويوقفه

قرب العلم » أنت تقف هنا « يمسك برهان » أنت وزميلك تصعدان الى الدرجة الرابعة وتتوجهان نحوي .. « يفعلان » نعم .. مد رجلك .. تمام كأنك تنزل الدرج « لأبي وليد » أنت .. لا تنظر اليهم .. انظر نحو الباب .. مفهوم ؟ « للجندي » أنت ستمر بينهما وأنت تصعد الدرج « يقف الجندي مديرا ظهره » عظيم . « يعود المصور الى الكاميرا » « أبو وليد يحس أنه متجمد في وقفته .. يحرك رقبته وجسمه . المصور يصرخ » اثبت .. لا تتحرك . لا تحرك رأسك .. « يتطلع من الكاميرا .. » لا تنظر الى الكاميرا .. لا تتطلع باتجاهي . مفهوم ؟ ابتسموا كلكم .. « أبو وليد لا يستطيع أن يمنع نفسه من استراق النظر نحو المصور يصرخ » ماذا قلنا يا حمار ؟ ألم نقل لا تتطلع الى الكاميرا . ابتسموا .. ابتسموا كلكم . هل سأقضي النهار كله معكم ؟ « يلتقط الصورة » خلصنا .. أوف .. « يحمل عدته ويصعد الدرج مجددا مع الجندي » .

« الثلاثة مازالوا حيث كانوا ... برهان وحاتم يتطلعان الى أبي وليد .. الذي يبتسم لهما ابتسامة صفراء » .

ابو وليد :

أعصابهم تعبانة قليلا . يجوز أنهم مرتبكون بسبب وجود الضباط والمسؤولين ..

« بغتة ينزل المستشار مسرعا ووراءه بعض الضيوف .. يسرع نحو الباب . جنديدفع الثلاثة الى الزاوية دون أن يترك لهم المجال للكلام .. يدخل ضابط كبير مع المستشار.. ويتجه الجميع الى الدرج .. »

« بغتة يصدر صوت انفجار من داخل المكان.. تمتلىء القاعة بالدخان والأتربة . جنود يحيطون بالمستشار والضابط الكبير ويخرجون بهما مسرعين . جنود يخرجون من قبو ومعهم أسلحتهم . في الخارج أصوات إطلاق نار ... أبو وليد وزميلاه مرتبكون لا يعرفون ماذا يفعلون . انفجار آخر ... يلتصقون بزاوية

... الرقيب المسلح مع عناصره يرى الثلاثة » .

الرقيب :

عرب ! « ويوجه سلاحه نحوهم ويكاد أن يطلق . الثلاثة يسيطر عليهم الفزع ويرفعون أيديهم . »

برهان :

دخيلك لا تقوس .

ابو وليد :

نحن ضيوف يا بيك .

« عناصر يفتشونهم بسرعة . وأبو وليد يحاول أن يشرح » .

ابو وليد :

لا تغلط يا بيك . نحن ضيوف .. «يدفعونهم بعنف الى جانب المسرح .. يخلو المسرح تماما .. الثلاثة مكومون على الأرض .. فسمن بقعة ضوئية .. هدوء .. »

الراوي :

نعم . حدث غلط ، وكل غلط قابل للاصلاح، تريدون اخبار المعركة ؟ الحقيقة لا أعـرف . لا أعـرف كيف انتهت . ولا أعرف شـيئا عن الاصابات . هي حادثـة من بيـن مئات الحوادث التي تقع في حالة كهذه . أعـرف فقط انه قد حدثت اعتقالات كثيـرة . وان التحقيقات قد أخذت مجراها . المستشار أخذ ضيوفه الى أحد المنتزهات لكي يروح عنهـم ويطمئنهم بعد أن فسدت الحفلة التي كان قد خطط لها . وترك لعنـاصره إكمـال التحقيق وتعقب الفـاعلين . ماذا حدث لأبي وليـد ؟ ها هو .. « ينسحب » .

حاتم :

من أجل هذا وجهوا لنا الدعوة ؟

برهان :

أنا لم أفهم ماذا جرى .

ابو وليد :

غلط . غلط . الآن سيكتشفون غلطهم ويأتون

ليستعذروا منا . ثارت أعصابهم قليلا حين صار اطلاق النار .

حاتم :

ولكن لماذا يحشرونا هنا ؟

ابو وليد :

ربما من أجل حمايتنا .. لئلا تصيبنا طلقة طائشة . نحن ضيوفهم . أبعدونا عن مكان الخطر .

حاتم :

يا أخي .. أين تعيش أنت ؟ هم أنفسهم كادوا يطلقون علينا النار .. ثم أنزلونا عن الدرج درجة على رؤوسنا . وأنت تقول لي : يحمونا .. ويعتذرون منا . الله يلعن الساعة التي قلت فيها عقلي وجئت . أصلا .. الآخرون كانوا عقلاء ولم يقبلوا تلبية الدعوة .

ابو وليد :

بالله عملوا عين العقل .

ابو وليد :

لا تقلل عقلك يا ابن الحلال . الذين لم يقبلوا

أن يجيئوا سيأتي حسابهم فيما بعد . تظن ان فرنسا تسكت لهم ؟ أو تتناهم ؟

حاتم :

ونحن ؟

ابو وليد :

نحن ؟ سترى الآن . حين تهدأ أعصابهم قليلا سيأتون ويخرجوننا ويطيبون خاطرنا .. المستشار ذاته سيعتذر منا .

الراوي :

من الذي كان يطلق النار ؟

ابو وليد :

زعران . أولاد مشاغبون . يريدون تخريب الحفلة . الآن ينتهون منهم ويتفرغون لنا . أنا متأكد أن الحفلة ستصير رغم كل شيء .

حاتم :

يا رجل .. هؤلاء أولادنا . أولادنا هم الذين يقاتلون الفرنسيين .. ادع الله أن لا يكون أحدهم قد أصابه أذى .

ابو وليد :

الله يسمع منك . لكن ماذا تفعل لقلقة العقل؟ هناك أناس لا يقدّرون . أرأيت كم كان الفرنسيون لطفاء قبل الانفجار .

« الباب يفتح . يدخل رقيب وجندي . الرقيب يشير الى برهان وحاتم » .

الرقيب :

خذهما.ضع كلا منهما فيزنزانة انفرادية واترك لي هذا . « يخرج الجندي مع برهان وحاتم. يظل الرقيب وأبو وليد . »

ابو وليد :

« يبتسم ابتسامة متملقة وهو يقترب من الرقيب . » الله يعطيكم العافية . ان شاء الله خلصتم من المشاغبين ؟ « يضحك » تصور أنهم شكوا بنا .. لكنني كنت أعرف أنه غلط ، وستعرفون الحقيقة بسرعة .

الرقيب :

« يتطلع اليه بجفاء دون أن يتكلم أو يبتسم» .

ابو وليد :

معكم حق . أنتم متوترون قليلا . ولكن لا يجوز أن يتمكن بعض الزعران من اثارة أعصاب فرنسا العظيمة « يقترب منه » .

الرقيب :

« يدفع أبا وليد الى الحائط ويتحدث بهدوء قاس » اسمع . ستجيبني عن ثلاثة أسئلة .

أولا : كيف دخلت الى السرايا ؟ ثانيا : ماذا أدخلت معك ؟ ثالثا : من هم الذين كانوا يطلقون النار ؟ كم عددهم ؟ ما أسماؤهم ؟ من أية قرى هم ؟

ابو وليد :

يا بيك . أقول لك إن هناك غلطا . نحن دخلنا السرايا لأننا مدعوون الى الحفلة . اسأل سعادة المستشار .

الرقيب :

أنت ؟

ابو وليد :

نعم يا بيك .. وكان معنا كروت .

الرقيب :

كروت ؟ أين هي ؟

ابو وليد :

أخذوها منا عند الباب . اسأل الحارس يابيك.

الرقيب :

وماذا أدخلتم معكم ؟

ابو وليد :

نحن ؟ صوت الله . الله وكيلك يا بيـك . كنت مدعوا .

الرقيب :

« يضرب أبا وليد على وجهه » هل ستتكلم كلاما مفهوما أم ماذا ؟

ابو وليد :

لا يا بيك . لا تغلط . سيزعل منك رؤساؤك. المستشار نفسه سيزعل منك .

الرقيب :

« يزداد غضبه » لا تذكر اسم المستشار على لسانك « يضربه » فهمت ؟ « يضربه مرة أخرى فيلقيه أرضا . يرفسه بقدمه . »

ابو وليد :

لا يا ابني . أنا مثل أبيك .

« ضابط يدخل ويتطلع الى ما يجري »

ابو وليد :

ها هو حضرة الضابط . اسأله .

الرقيب :

« يلتفت الى الضابط » لم يعترف . عنيد .

الضابط :

اتركه لي . تابع التحقيق مع غيره . اسمع حين يعود المستشار يجب أن تكون معلوماتنا كاملة .

الرقيب :

سأبذل جهدي يا سيدي . « يخرج »

ابو وليد :

« يحاول لملمة نفسه قدر المستطاع » أعجبتك هذه البهدلة يا بيك ؟ لم يترك لي مجالالأشرح له الموضوع . المسألة ومافيها يا بيك ..

الضابط :

لا تضيع وقتي . اعترف بهدوء والا أرجعت

اليك الرقيب ليستجوبك على طريقته. اعترف. وخلصني .

ابو وليد :

بماذا أعترف يا بيك ؟ أقول لك : حدث غلط: أنا من الذين لبوا دعوتكم . أنا لم أفعل مثل قليلي العقل الذين رفضوا أن يجيئوا الى الحفلة . أنا جئت ..

الضابط :

أعرف أنك جئت ، ولهذا قبضوا عليك .

ابو وليد :

وهذا هو الغلط يا بيك .. اسالهم لماذا قبضوا علي ؟

الضابط :

أنا أقول لك . قبضوا عليك لأنك تشاغب ضدنا .

ابو وليد :

أنا يا بيك ؟ لماذا أشاغب ضدكم ؟

الضابط :

لماذا ؟ ألا تعرف لماذا تشاغب ضدنا ؟

ابو وليد :

يا بيك . اسأل عني . أنا كنت دائما ضد المشاغبين . بالعكس . أنا كنت أقول دائما اننا يجب أن نستفيد من فرنسا .. فلماذا أشاغب ضدها ؟

الضابط :

اسمع . أنا أقول لك لماذا تشاغب ضدها . وانت تقول لي كيف شاغبت وماذا فعلت ؟ اتفقنا ؟

ابو وليد :

صدقني يا بيك .. ليس هناك سبب في الدنيا يجعلني أشاغب ضدكم ..

الضابط :

لا . وأنت الصادق . هناك أسباب كثيرة .

ابو وليد :

يا بيك اسأل الجنود الذين خيموا في بستاني .. لم أقل لهم ما أحلى الكحل في عيونكم . اذا كنت لم أشاغب من أجل البستان فلماذا أشاغب ؟

الضابط :

لأننا فرنسيون وأنت عربي . لأنـك تعتبرنا غرباء عن البلد وترى أننا محتلون ولانك تريد أن تقاوم الاحتلال لكي تصبح بطلا . عرفت الآن لماذا ؟ هيا يا شاطر . قل لي الآن ؟ ماالذي فعلتـه ؟

ابو وليد :

والله العظيم لم أفعل شيئا .

الضابط :

جائز . جائز أنك لم تفعل شيئا ، يبدو عليك أنـك طيب ولا تحب المشـاكل أنت أدخلت الديناميت فقط غيرك هو الذي وضعه وفجره . أنت أصلاً لا تعرف كيف تشتغل بالديناميت . ولكن شخصا بسيطا مثلك بهذا المظهر التافه لن يثير الشبهات . يدخل الديناميت ويعطيه لمن ينتظره .

ابو وليد :

اقسم لك له بالله وكتبه ورسله وملائكته انه لم يكن هناك من ينتظرني أنا أول من وصل . وبعد ذلك وصل برهان وحاتم .

الضابط :

من هذان ؟

ابو وليد :

مدعوان آخران الى الحفلة ، من قرى أخرى.

الضابط :

نعم أكمل .

ابو وليد :

هذا كل شيء جلسنا نتحدث ..

الضابط :

تعرفهما من قبل ؟

ابو وليد :

أبدا اليوم عرفتهما .

الضابط :

وبهذه البساطة رحتم تتحدثون وتتمشون .

ابو وليد :

يا سيدي نحن أولاد عرب . نحكي لغةبعضنا نتفاهم بسرعة . وجماعتكم مشغولون . ولا يعرفون العربية جيدا . صرنا نتسلى ونحن ننتظر الحفلة .

الضابط :

أرأيت ؟ أنت قلتها . أولاد عـرب تتفاهمون بسرعة . وأنتم تنتظرون الحفلة . لمـاذا كنتم تنتظرون الحفلة ؟

ابو وليد :

لأننا مدعوون اليها .

الضابط :

لا تضحكني . أنا لا أحب المزاح ولا الكذب.

ابو وليد :

لا ياولدي . أنا مثل أبيك .. أنا لا أكذب .

الضابط :

ستظل مصرا على التظاهر بالبراءة ؟ « يـدفعه أمامه حتى الجدار » أريدك أن تفهم بوضوح. ليس فقط أنكم أعجز من أن تقاوموا فرنسا، بل أن تفهم أيضا أن حيوانا تافهـا مثلك لا يستطيع أن يستغفل واحدا مثلي فهمت ؟ احك الآن .

ابو وليد .

يا ابن الحلال ماذا أحكي ؟

الضابط :

« يصرخ وقد فقد اعصابه » احك يا حيوان
« يبدأ بضربه » احك يا كلب ، احك ياحشرة
« ويستمر في ضربه ، يرميه أرضا ويبدأ برفسه .. تخفت الأضواء عليهما ، يبقى أبو وليد وحده في بقعة ضوئية وهو ملقى على الأرض وقد تمزقت ملابسه وخرج حذاؤه من قدميه وهو يتوجع ويئن » .

« ... الراوي يتطلع الى أبو وليد »
«وهو مرمي على الأرض .. كأنه يكلم نفسه»

ابو وليد :

والله العظيم كنت مدعوا الى الحفلة ..وكان معي كرت . أكيد حدث غلط . المستشار نفسه هو الذي دعاني . اسألوه . اسألوا الضيوف الذين جاؤوا من باريز . هم يعرفوني . اسألوهم عن عمران الحامد .. أبو وليد . أنا هو أنا مدعو .. جئت هنا لكي أعزز وأكرم وكلهم يعزّونني ويحترمونني . التفجير هو الذي سبب هذا الغلط . التفجير .. الزعران

قاموا بالتفجير .. سعيد .. ابني سعيد هو الذي تسبب في بهدلتي .. عملتها بي ياسعيد؟ ترضى عذه البهدلة لأبيك ؟ بسيطة يا سعيد. حسابك فيما بعد . حسابك في البيت .. ياشاتة أهل قريتي وجيراني .

الراوي :

معلوم

توب العيرة ما بيدفي

وان كان دفى ما يدوم

واليعرى من أهله ويتغرب

لابد يلبس توب هموم

واللقمة الياكلها بذله

تنزل تسري كأنها هموم

معلوم

واليعرى من أهله يبرد

لا يشقى ولا يسعد

يبقى طير محلـق

لا ع الأرض مهدي

ولا بالجو معلق

يقضي عمره وهو يحوم

معلـوم

الراوي يصعد السلم .. الاضاءة تسقط على المستشار الذي يتحدث في الهاتف .

المستشار:

نعم . نعم . غدا يصلكم تقرير مفصل عـن الأضرار والإصابات ... بعض المعتقلين.لا. نشتبه بهم .. مازال التحقيق مستمرا . طيب مع السلامة . « يغلق السماعة .. يقف ويطل من نافذة .. الراوي يصل اليـه . المستشار يلتفت دون أن يغير وجهته يحدث الراوي وهو يعاود التطلع من النافذة » .

المستشار:

أترى هذه القلعة؟ كنت أنوي أن أقيم الاحتفال

فيها . لم يوافقوا في دمشق . لا يفهمون الأبعاد الحقيقية لما أفعله . كنت أريد أن يعرف سياسيونا أننا هنا لا نلعب . نحن هنا نعيد صياغة التاريخ . فصل التاريخ الذي انقطع بالتاريخ الذي انصنع . نحن أبناء الفرسان العظماء الذين سبقونا الى هناواقاموا هذه القلاع . كل شيء كان يمكن أن يجري كما هو مخطط له .. ولكنني لا أفهم ماذا حدث . لماذا يصر هؤلاء الهمج على اثارة الشغب ؟ « يلتفت اليه » لماذا لا تتكلم ؟

الراوي :

أسمعك .

المستشار:

لم تجبني . سألتك لماذا يصرون على اثارة الشغب .

الراوي :

الأمر بسيط . الشغب مثل جسد الانسان حين يدخل اليه جسم غريب يظل الجسد يقوم بمحاولات حتى يطرد الجسم الغريب .

المستشار:

واذا لم يستطع ؟

الراوي :

يستسلم الجسد .. أي يموت . أعني الجسم الغريب يضطر لقتل الجسد الذي دخل فيه .

المستشار:

اليس من الممكن أن يستمر الجسد في الحياة والجسم الغريب فيه ؟

الراوي :

ممكن . حين يعجز الجسد عن لفظ الجسم الغريب .. يعزله الى منطقة غير هامة .. ويغلفه ويكيسه .. ثم يهمله وينساه .

المستشار:

فلسفة سخيفة .

الراوي :

نعم ؟

المستشار:

فلسفة سخيفة . هل تريد أن تقنعني أن هؤلاء الهمج القذرين يستطيعون اخراج فرنسا من

هذه البلاد ؟ أتعرف أن كل تسليحهم لايتعدى مئة بندقية وبعض المتفجرات ؟ أتعرف كم يبلغ تسليح الحامية التي عندي وحدها ؟

الراوي :

أكثر بكثير .. ولكن ما الفائدة ؟

المستشار:

ما الفائدة ؟

الراوي :

اعني هل تأمر جنودك بفتح النار على أبناء البلد دون تمييز ابتداء من باب السرايا ؟.

المستشار:

« يتطلع اليه متمعنا ثم يتطلع الى الخارج .. ثم يعود اليه » نقتل أولاد البلد كلهم ؟ نحتل بلادا خالية من الناس ؟

الراوي :

أليس هذا أفضل ؟ نقتلهم جميعا وترتاح .. ثم تجلب فرنسيين ليقيموا هنا .

المستشار:

ولكننا موجودون في الجزائر منذ مدة طويلة ومقيمون فيها دون أن نضطر لقتل الشعب .

الراوي :

ستضطرون إما الى قتل الشعب الجزائري كله أو الى الخروج من الجزائر .

المستشار:

مجنون . أكيد مجنون . نحن حضاريون . نحن هنا لجلب الحضارة وليس لقتل الشعب.

الراوي :

هناك أمران لا يجتمعان معا . لا يمكن أن تكون جندي احتلال وتكون حضاريا في الوقت نفسه .

المستشار:

ولكن نحن لسنا قوة احتلال . نحن نجلب معنا حضارة ، سنعلمهم كيف يعيشون . سنحول صحاريهم الى جنات . اذهب وانظر ماذا فعلت بريطانيا في الهند دون أن تضطر لقتل الشعب الهندي .

الراوي :

ستخرج بريطانيا من الهند .

المستشار:

ولكن نظريتك لا تنطبق على وجود الاوروبيين في القارة الامريكية .

الراوي :

اضطر الأوروبيون لابادة الهنود الحمر ابادة تامة .

المستشار:

هل تظن أنك تخيفني بكلمة الابادة ؟ وليكن . ان هناك قوة جديدة في العالم الآن هي قوة الصناعة . ويقف وراءها عقل جديد يعتمد على المنطق والعلم ويريد أن يسيطر على الطبيعة ويسخرها لخدمة الانسان .. وهو يفعل ذلك باخراج الثروات الكامنة في الانسان من خلال مجتمع الديمقراطية والعلم .. أعني روح الثورة الفرنسية ان كنت لم تسمع بها .. وحين تجد من يموت فليس لأننا نقتله بل لأنه غير قادر على الانسجام مع العلم

والحضارة .. والعلم والحضارة الآن معنا نحن .. مع الاوروبيين : مع الانسان الأبيض الذي سيحرر العالم . وأنا مؤمن بسياسة النفس الطويل . ليس من الضروري أن تقتل هؤلاء البدو المتخلفين .. بل من الممكن تطويرهم وجعلهم يسايرون الروح الحضارية. يمكن تعليمهم اللغة الفرنسية والديانة المسيحية .. يمكن جعلهم فرنسيين والخطوة الأولى هي اغراؤهم بالتشبه بنا . من أجل هذا دعوت بعض الفلاحين الى الاحتفال .

الراوي :

جاء الى الاحتفال نوعان من أبناء البلد .. نوع يحمل السلاح ليقتلكم ونوع خائف من أن تقتلوه .

المستشار:

الذين يحملون السلاح قلة مشاغبة. والخائفون سيزول خوفهم مع الأيام .

الراوي :

أتعرف ماذا جرى للمدعوين الى الاحتفال ؟ اعتقلوا . وهم الآن تحت التعذيب والتحقيق.

المستشار:

لا مستحيل . غلط . غلط نصلحه فورا ...

« يركض الى الهاتف يرفع السماعة ويصرخ » ميشيل .

« اطفاء على المستشار والراوي تظل الاضاءة على أبي وليد الجالس على الأرض » .

ابو وليد :

هذه آخرتها معك يا أبو وليد ؟ هكذا سترفع رأسك ورأس عشيرتك وقريتك ؟ لا . اعترف الآن . يا عمران الحامد . خلال هذه القصة كلها لم تحافظ على كرامتك . عندما جلبوك ليبلغوك الدعوة جلبوك ذليلا . وقفت أمام المستشار ذليلا . لبيت الدعوة لأنك خفت أن ترفضها . ومنذ أن جئت الى هنا وأنت تتلقى الاهانات . حين دخلت .. حين فتشوك . حين أجلسوك منعزلا وتهروك .. حين شتمك المصور .. حين اشتبهوا بك .. وأنت تقبل هذا كله لماذا ؟ لماذا فرطت بكرامتك الى هذا الحد ؟ « ينهض متحاملا على نفسه » لا . أنا لم أزل مثلما كنت . أنا عمران الحامد . أبو

وليد . الذي حدث لم يكن غلطا . والغلط لا يصلح اذا لم أصلحه أنا .. أنا أهنت .. أنا تبهدلت . أنا الذي لم أسكت على اهانة في حياتي كلها ؟ أنا .. ان من يهينني يجب أن يقتلني لأنني لن أسكت على الاهانة مهما كان الثمن . وهؤلاء الكلاب الذين أهانوني يجب أن يقتلوني . لن أضطر الى الكذب والتبرير . ولن أقبل أن أقول انني أهنت وسكتت .

« يحس ان هناك من يفتح الباب . أبو وليد يدفعه دفعة قوية يلقيه بها أرضا . يرتمي أبو وليد فوقه ويضربه لكن الجندي الشاب ينجح في دفعه عنه . وفي الوقت ذاته يدخل جندي آخر مع الضابط . الجندي الثاني يهم بضرب أبي وليد بكرسي يحمله .. الضابط يمنعه باشارة من يده . الجندي الأول ينهض ويريد أن يهاجم أبا وليد . يرتبك لوجود الضابط الذي يوقفه بحركة من يده . الضابط يتأمل أبا وليد الذي يقف بكبرياء وهو يسوي ملابسه . ويركل الحذاء الملقى الى جانبه ليقف حافيا . »

الضابط :

كنت أظنك عجوزا طيبا . « أبو وليد لا يجيب» لم أتصور أنك عنيف ومشاغب . «لا يجيب» هل تستطيع أن تفسر لي لماذا ضربته ؟ « أبو وليد يتطلع بفرح الى وجه الجندي » لم تجبني . لماذا ضربته ؟

ابو وليد :

أنا متعود هكذا اذا ضربني أي مخلوق يجب أن أرد الضربة .

الضابط :

لكن هذا لم يضربك .

ابو وليد :

بل ضربني .

الضابط :

تطلع اليه جيدا . أهذا هو الذي ضربك ؟

ابو وليد :

« دون أن ينظر » لا أعرف . يشبهه .

الضابط :

« لا يستطيع منع نفسه من الابتسام» وتضربه لأنه يشبه من ضربك ؟

ابو وليد :

« بعناد » كلكم متشابهون • ضربني أكثر من واحد منكم • وكلكم تشبهون بعضكم •

الضابط :

اتركونا وحدنا •

الجندي :

سيدي !

الضابط :

ما بك •

الجندي :

تريد أن تناقشه بعد أن ضربني ؟

الضابط :

هناك سوء تفاهم •

الجندي :

ضربني • حيوان مثل هذا يضربني وأنت تريد أن تناقشه وتزيل معه سوء التفاهم ؟

الضابط :

« يحزم » يكفي • لا تناقش • اخرج مع

الجندي :

زميلك •

الجندي :

حاضر • سأخرج • لكنني أقسم أن أوصلها للمستشار • أصلا معاملتكم هذه هي التي تشجعهم « يتطلع الى أبو وليد » سأريك يا ابن القحبة « يخرج الجنديان » •

الضابط :

« يحافظ على هدوئه » بسيطة • يجب أن نهدىء أعصابنا • « يشير الى الكرسي » تفضل اقعد •

ابو وليد :

« يفاجأ فلا يتحرك • »

الضابط :

ما بك ؟ اجلس • أنا طلبت جلب الكرسي لكي تجلس عليه وتزيل سوء التفاهم قبل أن تخرج « لا يجلس » •

الضابط :

أنت عمران الحامد ؟ أليس كذلك ؟ « أبو وليد يهز رأسه » اسمع يا عمران • حدث غلط وقد اكتشفناه الآن • أنت مدعو الى الحفلة

فعلا . والمستشار طلب أن نخرجم لكي يراكم . وآثار ارى أن تغسل وجهك الآن لكي تقابله .
« أبو وليد يطرق ولا يتكلم » ما بك ؟

ابو وليد :

فلنقابل المستشار .

الضابط :

اغسل وجهك أولا .. والبس حذاءك ..

ابو وليد :

لا . المستشار رآني من قبل دون حذاء والضرب يجب أن يراه .

الضابط :

« يبتسم » اذا كنت تظن أنك ستشتكي الى المستشار فهو يعرف بالالتباس الذي حدث . فاغسل وجهك لكي تقابله هو يريد أن يعتذر منك .

أبو وليد :

مادام يعرف فلماذا الغسيل ؟

الضابط :

من أجل اللياقة .

الضابط :

« يتقدم ويجلس على الكرسي باستعراضية »
أريد أن أسألك سؤالا . هذا الجندي الذي ناقشني قبل قليل وشتمني .

الضابط :

سأعاقبه على قلة انضباطه .

ابو وليد :

انا اسأل عن شيء آخر . لماذا لا يستطيع واحد منا أن يناقشكم مثلما يناقش جندي منكم رئيسه ؟

الضابط :

كل انسان يستطيع أن يناقش . نحن ديمقراطيون . تعرف ما معنى الديمقراطية ؟ كل انسان يملك حريته و ..

ابو وليد :

« ينهض » لا أريد أن أعرف . خذني الى المستشار .

الضابط :

ستغسل وجهك أولا .

ابو وليد :

يا أخي لا اريد أن أغسل . أنا حر ألم تقل انها ديمقراطية؟ أنا أريد لوجهي أن يظل متسخا.

الضابط :

لا تثر أعصابي يا عمران .

آبو وليد :

اسمي أبو وليد . أنا بعمر أبيك . اضبط كلامك وكن مؤدبا .

الضابط :

ألا ترى أنك تزيدها قليلا ؟

ابو وليد :

ماذا ستفعل ؟ تسجنني ؟ أنا في السجن ؟ تضربني ؟ ضربت بما فيه الكفاية .

« يدخل المستشار مع الجندي »

الجندي :

هذا هو يا سيدي « المستشار يشير الى الضابط والجندي أن يخرجا فيفعلان » .

المستشار:

« يتأمله قليلا » شيء مؤسف يا مسيو عمران . الحقيقة شيء مؤسف . « يتمشى قليلا وهو

صامت . أبو وليد لا يتطلع اليه » « يلتفت المستشار باسما » أنت رجل عاقل يا عمران . وتستطيع أن تقدر . لقد رأيت ما حدث . حين وقع الانفجار والاشتباك كان من الطبيعي أن تثور أعصاب الجنود وان يعتقلوا من يشتبهون بهم ، وهكذا أخطأوا بك . على كل حصل خير . ماذا تقولون في هذه الحالة ؟ ماعليش ؟.

ابو وليد :

لا ، لا تقول ماعليش .

المستشار:

« يبتسم » اكتشفت ان دمك حام . قال لي الجندي أنك ضربته .

ابو وليد :

أما قال لك أنه ضربني .

المستشار:

« يضحك » يعجبني الرجال العنيدون .. تقصد ضربوك في التحقيق .. ربما . لكن الجندي الذي ضربته مسكين . لم يشترك في التحقيق . كان قادما لاخراجك من هنا الى

مكتبي . الضابط أرسله بناء على طلبي .
مشكلتكم يا عمران أنكم ترونا كلنا متشابهين .

ابو وليد :

« باستغراب شديد » ألستم متشابهين ؟

المستشار:

ليس الى درجة عدم التمييز بين واحد وآخر. الفرق كبير في الشكل والهيئة والطول والملامح . مشكلتكم أنكم مازلتم تصنفون الناس على أساس عشائر وقبائل . أليس كذلك ؟ اذا ضربك شخص ما من عشيرة أخرى تنتقم من أي شخص العشيرة الأخرى . ان الآوان للتخلص من هذه العقلية .

ابو وليد :

تسمح لي أن أسألك ؟

المستشار:

تفضل طبعا .

ابو وليد :

الذين اشتبهتم بهم وحبستموهم وأهنتموهم.. هل بينهم واحد فرنساوي ؟

المستشار:

« يضحك » فرنساوي ؟ لا لم تصل الى هنا. لماذا نعتقل واحدا فرنسيا ؟

ابو وليد :

من يدري ؟ ربما . لماذا لم تشتبهوا به ؟

المستشار:

لأنه فرنساوي .

ابو وليد :

معناها أن الذين اشتبهتم بهم كلهم أولادعرب؟

المستشار:

طبعا .

ابو وليد :

والذين حبسوني وضربوني فعلوا ذلك لأنهم اعتبروا أن كل ابن عرب مشبوه .

المستشار:

رد الفعل الأول .

ابو وليد :

اذن حين وقعت المشكلة رأيتموا كلنا تشبه بعضنا .

المستشار:

معك حق . شيء من هذا القبيل .

ابو وليد :

وأنا حين انضربت أحست الذي ضربني واحد منكم وأنكم كلكم تشبونه .

المستشار:

الى أين ستصل ؟

ابو وليد :

نحن شيء .. وأنتم شيء .

المستشار:

لا . لا تكبر الموضوع . نحن يمكن أن نتفاهم ونعيش معا ، تستفيدون منا ونستفيد منكم .

ابو وليد :

صعب .

المستشار:

لماذا ؟

ابو وليد :

لأنه عند أول مشكلة تصيرون كلكم فرنساوية ونصير كلنا أولاد عرب .

المستشار:

تعني أنه ليس هناك أمل ؟

ابو وليد :

أبـدا .

المستشار:

بسيطة . حيـن تهـدأ أعصابك تتكلـم في الموضـوع .

ابو وليد :

ألن أرجع الى قريتنا ؟

المستشار:

طبعا غدا صباحا تكون قد غسلت وجهكورتبت نفسك وزالت عنك هذه الآثار فتذهب الـى القريـة .

ابو وليد :

اذا لـم يكن هناك أي شيء آخـر أريد أن أذهب الآن .

المستشار:

اغـسل وجهك فقط . لا يليق أن يروك هكذا.

ابو وليد :

بالعكس . يجب أن يروني هكذا لكييعرفوا أنني مازلت منهم . الذي يحتاج الى الغسيل يا بيـك شيء جواني أكبر بكثير من هـذه الآثار التي على وجهي .

« يتبادلان نظرة صامتة »

ابو وليد :

أقدر أن أخرج ؟

المستشار:

كما تشاء « يخرج ويتركه » .

الراوي :

« يظهر ويتقدم من أبي وليد » لم أفهم .

ابو وليد :

ما الذي لم تفهمه ؟

الراوي :

لم تترك مجالا للتفاهم ؟

ابو وليد :

وهل هناك مجال ؟

الراوي :

أنت كنت تقول أن هناك مجالا للتفاهم .

ابو وليد :

واكتشفت أني غلطان .

الراوي :

حتى أنك لم ترض أن تغسل وجهك .

ابو وليد :

أكلفك كلاما كبيرا ؟ النظافة أن تغسل يدك لا أن تغسل وجهك .

الراوي :

على الأقل لكي لا يروك هكذا ويشتموا بك.

ابو وليد :

فليشتموا ، أنا سعيد بهذا الدرس . اكتشفت أنني سوري .

الراوي :

ألم تكن تعرف ذلك ؟

ابو وليد :

ليس كما أعرفه الآن .. « يتقدم ويخاطب الجمهور » اكتشفت أنني سوري وعربي وفلاح ابن بلد . أنا هكذا حتى لو لم أكن أريد ذلك .

حين يكون هناك احتلال أجنبي للبلد.. تكون ابن البلد غصبا عن رأسك .

ـ النهاية ـ

★ ★ ★

القناع

القناع

مسرحية من فصل واحد

« غرفة نوم لمياء . غرفة نوم عادية . فيها سرير وطاولة صغيرة قرب السرير (كومودينة) عليها لومبادير . في الغرفة خزانة ذات مرآة ، وتواليت الزينة . ولها بابان واحد الى الحمام والآخر الى صالون المنزل مع نافذة تطل الى الخارج » .

« تدخل لمياء وهي في الثلاثينات من عمرها . تدخل من الحمام وهي تنشف يديها وفمها مما يوحي أنها كانت تنظف أسنانها استعدادا للنوم . تضع المنشفة جانبا وتتناول مجلة . ثم تخلع الوشاح الرقيق الذي ترتديه فوق قميص

النوم . تظل بقميص النوم ثم تنزل في الفراش وتتصفح المجلة بعد ان تطفيء الانور في الغرفة ويظل اللومبادير وحده مضاء . تتصفح المجلة على ضوء اللومبادير .. »

« فيما هي تقرأ تسمع صوتا من داخل البيت . تنتبه قليلا . يتأكد لها وجود من يتحرك في الداخل » .

لمياء :

سامي ! هذا أنت ؟ « لا جواب . تنهض من السرير وتتجه نحو الباب . تشعل الضوء فتفاجأ بشخص مقنع وبيده مسدس . تشهق وتتراجع خائفة . » من أنت ؟ وماذا تريد ؟

المقنع :

إياك أن تصدري أي صوت . « منذ أن يبدأ الكلام يبدو صوته غير طبيعي وكأنه يتحدث من خلال ميكروفون مشوش . يرتدي قناعا على وجهه مع سترة وبنطال أسودين ووشاح أسود يلف جسمه . »

لمياء :

مـاذا تريد ؟

المقنع :

ماذا تتوقعين أن أريد في هذه الساعة ؟

لمياء :

« رد فعلها الأول هو أن تحمي صدرها بيديها. يرتجف صوتها خوفا . » ماذا تعني ؟ قل لي : مـاذا تريد .

المقنـع :

أنتِ وحدك هنا ؟

لمياء :

وحدي .. لا . لا . معي ....

المقنـع :

« ينظر اليها بحدة يجعلها تتوقف عن التلعثم والتردد » من هو سامي الذي كنت تنادينه ؟ « يتقدم منها » .

لمياء :

أخي . « وهي تتراجع » .

المقنـع :

تعيشان وحدكما هنا ؟

لمياء :

نعـم .

المقنع :

أين هو الآن ؟

لميساء :

ليس هنا • مسافر • لا • لا • سهران • سهران عند زمائه • « تحاول أن تتخابث » قد يعود في أية لحظة •

المقنع :

مسافر أم سهران عند زملائه ؟

لميساء :

مسافر •• لا • لا • سهران • ماذا تريد منه ؟

المقنع :

لا أريد منه شيئا • أنت تكفينني وتؤمنين لي كل ما أريد •

لميساء :

« بفزع » أنا ؟ « تتراجع راجية » حرام عليك• أنا بنت مستورة •

المقنع :

وتريدين أن تظلي مستورة ؟

لمياء :

أرجوك • يستر على حريمك •

القنبع :

هذا يعني أن أخاك لن يعود كما قلت •

لمياء :

اقبل يديك • أقبل قدميك • خذ ما تريد واستر علي •

القنبع :

ماذا لديك ؟

لمياء :

تريد مالا • أليس كذلك ؟ أنت قادم لتسرق ولست قادما من أجل أي شيء آخر • سأعطيك المال • « تفتح الخزانة • تتناول حقيبتها اليدوية وتقدمها له • » خذ • فتشها • خذ كل ما فيها •

القنبع :

« يفتح الحقيبة • يفتش محتوياتها • يخرج نقودا وخاتما وساعة • يضعهما في جيوبه ثم يلقي بالحقيبة على السرير • » والى أين سافر أخوك سامي ؟

لمياء :

تعرف اذن أنه مسافر ؟ هذا يعني أنك تعرفنا وتراقبنا . من أنت؟ ولماذا تتكلم بهذا الصوت الغريب ؟ تخاف أن أعرفك من صوتك . أليس كذلك ؟ اذن أنت واحد من الجيران . لا شك أنك كنت تراقبنا منذ زمن . « تتطلع من النافذة » أي أنك تسكن شقة في تلك الأبنية المطلة علينا . هل كنت تراقبنا بمنظار؟

المقنع :

« يتطلع اليها بهدوء ويبدأ بعد النقود » .

لمياء :

اعترف أنك من أولئك الشاذين المرضى الذين يستمتعون بالتلصص على الناس وهم في بيوتهم .

المقنع :

« يقترب منها ، فتتراجع مذعورة خائفة » .

لمياء :

لا تتصورني امرأة ضعيفة . انني أستطيع المقاومة . ولا يمكن أن تتغلب علي بسهولة.

سأصرخ . حتى لو أطلقت علي النار . سأموت قبل أن أسمح لك بتلويث شرفي .

المقنع :

ولم الموت ؟ يمكن أن يُفتدى الشرف بأشياء كثيرة .

لميساء :

خذ أي شيء تريده . ها هو البيت أمامك .

المقنع :

« يلتفت حوله » ولم تعذبيني بالبحث ! « يقترب منها » أنت ستعطينني ما عندك .

لميساء :

انتظر . انتظر . ابق مكانك . لن أعذبك بالبحث . أنا أدلك على كل شيء . « تفتح درج الكومودينة » خذ . هذه أسوارة . ذهب . ذهب عيار ٢١ . خذها . هيا . خذها وانصرف « يتأمل الأسوارة باعجاب » اسمع . طالما أنك رضيت بهذه الأسوارة ولم تضايقني ، كن واثقا أنني سأسمح لك بالانصراف .

وأعدك أنني لن أصرخ بعد ذهابك ولن أبلغ الشرطة . حتى أخي لن أقول له انني تعرضت للسرقة . ما رأيك ؟ يجب أن تثق بكلامي . تعرف لماذا ؟ لقد افتديت شرفي بهذا المال . ولن أقبل أن تلوث سمعتي بعد أن ضحيت هذه التضحية .

المقنع :

ماذا تقصدين ؟

ليلى :

أريد أن أطمئنك الى أنك تستطيع الذهاب بهدوء . لن أصرخ ولن أطلب النجدة .. ولن أقول لأي انسان رغم أنني أشك بأني عرفتك. أنت الشاب الذي يقف على شرفة الطابق الثاني عاري الصدر لتستعرض عضلاتك أمام الجيران . وأحيانا تخرج بالسروال الداخلي فقط . هذه لا حق لك فيها . عيب . احتشم يا أخي . حتى لو كنت رجلا يجب أن تحتشم. لماذا تتصورون أن الحشمة للنساء فقط ؟ لماذا لا يخطر لكم أنكم أنتم أيضا يجب أن تحتشموا وأن أجسادكم يجب أن تغطى .

المقنع :

لم يخطر لي أن رؤية أجساد الرجال تزعجك.

لميـاء :

أنت حر . أنا لا علاقة لي .

المقنع :

وتريدين اقناعي أنك لن تبالي عني حتى بعد أن عرفتني ؟

لميـاء :

كن واثقـا .. وأنا بهـذا أحمي نفسي . لا أحميك أنت . تعرف لماذا ؟ لأن الجميع سوف يتقولون : داهمها رجل في البيت وهي وحيدة بملابس النوم في منتصف الليل . أنت تعرف أنني وحيدة دائما . وبعد عودتي من العمـل أقضي وقتي كله وحيدة . وبما أنني لا أتوقع زيارة أحد وخاصة عند سفر أخي فانني أظـل بملابس النوم . « يهز رأسه متفهما » يبـدو أنك تعرف ذلك أيضا . وهذا ما شجعك على اقتحام المنزل . إياك أن يكون قـد خطر لك أنني أستعرض نفسي أمام النافذة من أجل أن

تراني أنت وأمثالك . أنا آخذ حريتي في بيتي مثلما تأخذ حريتك في بيتك . أنت تأخذ حريتك على الشرفة أمام أعين الناس . أنا في بيتي فقط . ألا يحق لي ذلك ؟

المقنع :

يحق لك طبعا .

لمياء :

ومع ذلك فأنت تستغل فرصة كوني وحيدة لكي تقتحم علي وحدتي وأنا بملابس النوم .

المقنع :

صدقيني .. كنت أفضل أن لا أجد أحدا بدل أن أجد امرأة وحدها في الليل وبملابس النوم تنتابها مخاوف لا أفكر فيها .

لمياء :

تريد أن تقنعني أنك لا تفكر فيها ؟

المقنع :

أنا لا أريد اقناعك بشيء . لكنني ، فعلا ، لا أفكر في ما تفكرين فيه .

لمياء :

وما الذي تظن أنني أفكر فيه ؟

المقنع :

أقصد المخاوف .

لمياء :

أليس من حقي أن أخاف ؟

المقنع :

من حقك طبعا . أنا أيضا خفت حين أحسست بوجودك في البيت . ولكن لا بأس امرأة بملابس النوم حريصة على السمعة والشرف والستر لن تركض الى الشوارع نصف عارية وهي تولول . وهذا يعني أننا نستطيع أن نتفاهم بهدوء ودون ازعاجات .

لمياء :

طالما أنك لن تزعجني فلن أبلغ عنك لأن أحدا لن يصدق أنه لم يحدث بيننا شيء خاصة اذا كنت واحدا من الجيران . هل اقتنعت الآن ؟ التبليغ عنك سيسبب لي فضيحة أنا في غنى عنها .

المقنع :

تخافين الفضيحة ؟

لمياء :

وهل هناك امرأة لا تخاف الفضيحة؟ أنا بالذات أكثر حرصا على سمعتي من جميع النساء اللواتي أعرفهن . لقد صار عمري خمسا وثلاثين سنة ولم أتزوج . يكفي أن أعتبر عانسا . أما عانس وسمعة سيئة فهذه مسألة تقضي على مستقبلي كله .

القنبع :

تذكرينني بنكتة المرأة التي قالت : يعجبني الشاب الذي له مستقبل فأجابها رجل : وأنا تعجبني المرأة التي لها ماض . أليس للماض؟

لمياء :

أنا ؟ مستحيل . « بشيء من الحزن » ليس لي ماض ولذلك لا أريد أن أفرط بالمستقبل . « تجلس بهدوء » هل أنت مطمئن الآن ؟ هياء تستطيع أن تخرج .

القنبع :

« ينقل نظره في الغرفة . يفتح الخزانة. يتأمل الملابس » .

ليلى :

لا تتركي هذه الملابس . نحن لسنا أغنياء . صدقيني لقد أخذت كل ما لدينا انني لم أوفر الكثير في حياتي .. كل ما كنت أوفره كنت أشتري به ملابس . أتسلى بالملابس . وهي ، كما ترى ، كلها ملابس محتشمة . هذه أيضا من أجل السمعة .

القنص :

والمظاهر ..

ليلى :

ربما .

القنص :

لو تعرفين كم تضحي بعض النساء من أجل الحصول على أشياء كهذه . بعضهن يعملن مومسات لفترة من أجل تأمين ملابس وأدوات زينة .

ليلى :

لا أسمح لك . هذا لا يمكن أن ينطبق علي . ما تراه اشتريته من راتبي . أنا موظفة .

المقنع :

لا أقصدك أنت . ولكن المرأة مخلوق عجيب فعلا . تصوري هذه المغارقة امرأة تبيع نفسها للرجال مرغمة من أجل تأمين مال يضمن لها مظهرا يرضي الرجال ثم تشكو من ابتزاز الرجال . لماذا قيمة المرأة عند الرجل دائما ؟

لمياء :

هكذا تسير الأمور . يجب أن تكون المرأة مُرضية للرجال .

المقنع :

ولكن بدلا من أن تقدم جسدها لقاء المال ، لماذا لا تؤمن المال بطريقة أخرى تضمن لها شرفها وسمعتها .

لمياء :

كيف ؟

المقنع :

بالعمل ، بالسرقة ، بالنشل ، بالتجارة ، بالتهريب .

لمياء :

حلولك عجيبة .

المقنع :

« يفتح درجا في الخزانة ويخرج كمية من الملابس الداخلية » .

لمياء :

« تهجم عليه » مالك ولهذه المسائل ؟ اتركها من يدك .

المقنع :

« يلتفت اليها بالمسدس » .

لمياء :

ملابسي الداخلية ، مالك ولها ؟

المقنع :

« يظل يتأمل كل قطعة على حدة . يضع بعضها جانبا . »

لمياء :

عيب . واللـه العظيم عيب . مالك ولهذه الأشياء ؟ أيها الشاذ المريض المكبوت . أنت معقد بالتأكيد . أنت من هذا النوع الذي يقتني الملابس الداخلية للنساء . ماذا تستفيد؟ قل لي . هذه الأمور يجب أن تكون أكبر

منها . كـل امرأة في الدنيـا تلبس ملابس داخلية . المرأة شيء ولباسها شيء آخـر . اقتناء الملابس لا يعوضك عن الالتقاء بالمرأة. الملابس موجودة في البوتيكات . تستطيع أن تتفرج عليها في الواجهات . أين تأخذها ؟

المقنـع :

لم أنت خائفة ؟

لميـاء :

لست خائفة . لكنني لا أريدك أن تأخذ شيئا منها . أعرف كـل أنواع العقد التي تتحكم بكم أيها الرجال : من عقدة التلصص الـى عقـدت الفتشـية : أقصـد اقتناء الملابـس الداخلية لتتباهى أمام زملائك المكبوتين بأنها لنساء تركنها في بيتك .

المقنـع :

ألا يمكن أن يكون لها استخدام آخر ؟

لميـاء :

أي استخدام ؟

المقنع :

لبسها مثلا .

لمياء :

تلبسها أنت ؟ لا . معنى هذا أن مرضك خطير جدا .

المقنع :

لا يسرق المرء إلا لنفسه .

لمياء :

لمن ستسرق ؟ لزوجتك ؟ لصديقتك ؟ لأختك؟ ما من امرأة تقبل أن تلبس الملابس الداخلية لامرأة أخرى . تقرف .

المقنع :

متأكدة ؟

لمياء :

طبعا .

المقنع :

هناك من يمكن أن يلبسها بسبب الحاجة . الحاجة تلغي القرف . هل ستستغنين عن بعض القطع ؟

لميـاء :

« بسخرية » مهذب ! وتستأذن أيضا .

المقنـع :

أستأذن لأنها فاخرة .

لميـاء :

وتفهم في الأنواع أيضا .

المقنـع :

ماذا قلت ؟ سآخذ بعض هذه القطع .

لميـاء :

أخذت ما هو أهم دون أن تستأذن .

المقنـع :

تقصدين المال ؟ لكنني تركت لك ما هو أهم بالنسبة لك : الشرف .

لميـاء :

من يسمعك يظن أنـك تهتم للشرف فعـلا . « بعصبية » ماذا تظن ؟ هل الشرف هو ذلك الشيء فقط ؟ الشـرف مرتبط بكل نواحي الحياة . السارق لا يمكن أن يكون شريفا .

المقنع :

يبدو أنك لم تقرئي أرسين لوبين . يسمونه اللص الشريف أو اللص الظريف .

لمياء :

هـا .. اذن أنت من الهـواة الذين يقرأون القصص أو يرون الأفلام ثم يقلدونها . هذا يعني أنك صغير .. في حـدود العشرين .. لأجل هذا تضع هذا التشوش على صوتك .. لابد أنك ذلك المراهق الذي يظل واقفا على الناصية ليتحرش بطالبات المدارس اللواتي لم تظهر أثداؤهن جيدا بعد . مـا الذي يعجبك في هذه التلميذات الحمقاوات ؟

المقنع :

ألا تعجبك التلميذات ؟

لمياء :

صغيرات . لو أنك ناضج جسديا او نفسيا لحاولت أن تجد امرأة ناضجة . ولكن ..لا. يبدو أنك مراهق فعلا .. تلطش كلمتين على الماشي فتحس أنك حققت انجازا كبيرا .وهذا

تعويض مراهقين لأنك لا تجرؤ على تلطيش امرأة ناضجة ومحترمة .

المقنع :

مثلك ؟

لميـاء :

طبعا مثلي . كلما رأيتك على الناصية عرفت أي ولد قليل الأدب أنت . أنظر اليك بثقة وقوة فتلملم نفسك وتطرق دون أن تتجرأ حتى على النظر الي أو التعليق بكلمة. تعرف أنك تثير شفقتي أحيانا ؟!

المقنع :

تقتك بنفسك زائدة . تحكمين عليّ وعلى عمري وحتى على شخصي . منذ قليت كنتُ الذي يتلصص من النافذة وبعدها صرت الذي يستعرض عضلاته على الشرفة . والآن صرت المراهق الذي يطارد الفتيات الصغيرات . أنا لست مراهقا .

لميـاء :

أعرف هذا التطاول على العمر . الفتيان الذين

فلهم زغب الشـــعر على وجوههم وأجسادهم ويريدون أن يوحوا أنهم رجال . لهذا تضخم صوتك ؟ هيا . هيا يا ولد . أخذت ما تريده فانصرف الآن .

المقنّع :

« يقترب منها » لم آخذ كل ما أريده بعد .

لمياء :

« بخوف » ما الذي تريده غير ما أخذت ؟

المقنّع :

مازالت لديك أشياء أخرى . أعطيني ماتخبيئنه قبل أن يحدث ما ينبه الجيران وتقع الفضيحة التي تخافينها . هيا . أظهري المخبأ .

لمياء :

كأنك تعرف بيتنا جيدا . تعرف أحوالنا أيضا . ماذا تريد ؟ العقد ؟ هذا لا أستطيع أن أعطيك إياه . ليس من أجل ثمنه . تعرف أنه مـــن المرحومة أمي .

المقنّع :

بصراحـــة .. أنا أفضـــل الأموال النقدية .

لا أحب أن أتورط في البيع . قد يؤدي البيع الى الشرطة .

لبيـاء :

قلت لك : لن أبلغ . ثق بكلامي .

المقنـع :

سأثق . اسمعي . العقد لا أريده . وقبل أن أراه . أبيعك إياه .

لبيـاء :

« تضحك رغما عنها » .

المقنـع :

« يجاريها في المزاح » وأنزّل لك في السعر.. اقصد اذا كان لديك أموال من نوع آخر سأترك لك العقد والساعة والخاتم .

لبيـاء :

أموال من نوع آخر ؟

المقنـع :

ماركات .. دولارات .. جنيهات .

لبيـاء :

« تتطلع اليه مدهوشة » أنت تعرف عنا أكثر

مما كنت أتوقع . لدي دولارات فعلا . ولكن كيف عرفت ؟ أنت لست من أصدقاء أخي . أخي لا يجلب أصدقاءه الى البيت الا نادرا . حريص لأن لديه أخته في البيت . يفضل أن يسهر خارج البيت . والذين يجلبهم معه من ذلك النوع السمج الذي يدّعي التهذيب فلا يرفع رأسه أو نظره . عند كل حركة « تقلده » يتنحنح : يا الله . دستور . خذوا طريقا . ويطرق برأسه ويخرج . ولكنه يكون قد أمضى ساعتين مع أخي وهو يحكي بذاءات عن النساء .. متناسيا أن هناك امرأة في البيت .. أنا ؟ أبدا . ولم أتنصت على أحاديث تافهة كهذه؟لكن أنتم لا تعرفون كيف تضعون حدا لاستعراضاتكم الحقيرة . ولا تعرفون كيف تخفضون أصواتكم . في الداخل تتبجحون وعندما تواجهون النساء تظهرون الأدب والتعفف .. ومع أخواتكم تظهرون الغيرة والشرف . أنت واحد من هؤلاء المنافقين . أنت وليد الذي يأتي ليسأل عن أخي دائما . أنا أفهم لعبتك . تمر بالبيت

لتأخذه معك الى السهرة بدل أن تواعده في مكان آخر . تقول لنفسك : ربما فتحت لمياء الباب.وحين تفتح لمياء الباب تدعي التهذيب. « تقلده » اذا سمحت يا أختي .. قولي لسامي وليد ينتظره . أنا واثقة أنك تنظر الى النساء كلهن من تحت لتحت ، على الرغم من التهذيب الذي تفتعله . أسلوب جديد . بدل أن تتطلع الى أخت صديقك مباشرة وتجعلها تحس برغبتك فيها تفتعل هذا كله لكي تلفت نظرها ،وظر صديقك الى أدبك وتهذيبك . « تزداد انفعالا وعصبية » لكن هذا الأسلوب لم يعد ينفع . المرأة تحتاج الى من ينظر اليها مباشرة .. من يجعلها تحس أنها مرغوبة ومشتهاة . حتى لو تمنعت ووارت نفسهاوراء الباب وهي تحدثك فانها تريد ذلك . أما اسلوبك السمج هذا فانه يثير قرفي رغم أنه يرضي أخي . أتسمع ؟ يثير قرفي ويولدعندي الرغبة في أن أصفعك وأشدك من شعرك . كأنك ولد أفسده الدلال يريد أن يتابعأسلوبه المهذب حتى تبادره المرأة نفسها . « يعلو

صوتها » ماذا تتوقع ؟ أن ألقي بنفسي بين ذراعيك ؟ أن أهمس لك : أخي ليس هنا . ادخل . أو خذ أخي الى السهرة وارجع إليك فأنا أنتظر ؟ ماذا تظن نفسك ؟ وماذا يعني اذا كان شعرك جميلا ولحيتك جذابة ؟ مهما كنت جذابا لن تجد امرأة شريفة ترمي نفسها عليك الا اذا كانت من النوع الرخيص الذي اعتدت عليه . أنت لا تفهم النساء . يجب أن تبادر أنت وان تلمّح وتوحي .

المقنع :

استفدنا من هذه الزيارة بدرس جيد عن كيفية التعامل مع النساء .

لمياء :

استفدت ؟ عظيم . ها قد قدمت لك فائدة لأنك صديق أخي . وبما أنك صديق أخي وبما أنك مدين لي بهذا المعروف يجب أن تترك لي الدولارات . أنت تعرف أنني جمعتها من أجل السفر .

المقنع :

تؤجلين سفرك .

لمياء :

لا أستطيع . قدّر أنت . صار عمري خمسة وثلاثين عاما . انني أجمع هـذا المبلغ منـذ سنوات . وحتـى المبلغ الـذي أخذته كنت سأصرفه دولارات حين يعود أخي من سفره. أريد أن أجمع ما أستطيع جمعه لكي أغـادر البلـد .

المقنـع :

الى أين ستذهبين ؟

لمياء :

الى جهنم . مللت من حياتي الموحشة الخالية الخالية من أي طعم . لـن تصدق أنني كنت أتمنى أن يحدث لي شيء مما حدث اليوم . أعني أن أتعرض لخطر . لأي حـادث مثير يحرك ركود حياتي . لـم أعد أستطيع البقاء هنا . صارت حياتي خانقـة . موعودة بفرصة للسفر الى أوستراليا . هناك أستطيع أن أعيش حياتي بعيدا عـن مفاهيم العنوسة والفضيلة والتقاليد . هـل أشيخ هنا وأصبح عانسا عجوزا ؟

المقنع :

وأخوك موافق على سفرك ؟

لمياء :

اسأله .

المقنع :

يبدو أنك مصرة على أنني من أصدقاء أخيك.

لمياء :

سواء كنت من أصدقائه أم لا . لم أعد أهتم لشيء . قلت له انني سأسافر ورجوته أن لا يحاول الوقوف في وجهي لئلا أتصرف بحماقة .. انني مستعدة لتحطيم كل ما يقف في طريقي .. أريد أن أعيش . أن أتزوج .. أنجب .. أصبح أمّاً .

المقنع :

لا أفهم توترك هذا . المفروض ان تكون الفرصة متاحة أمامك لأنك لستِ قبيحة .

لمياء :

شكرا .

المقنع :

أنت فعلا لست قبيحة . لماذا لم تتزوجي حتى الآن ؟

لمياء :

« تنفجر بالبكاء » لابد أن في خطأ ما . لا أعرف ماهو . الجو المحيط بنا غير متحفظ . وكان دائما هناك شباب . لكن لا أعرف لماذا. لم يكن أحد من الشباب يتجرأ ويبادرني . كنت دائما لطيفة معهم . لطيفة ومهذبة . أعني لطيفة وغير رخيصة . لذلك كانوا يحسون دائما أن هناك حدودا . وكنت أقول لنفسي سأنتظر الى أن أتزوج الرجل المناسب . لكن لا أدري ما الذي يحدث . هناك أشياء تفر من اليد .. وأهمها العمر .

المقنع :

لست كبيرة في العمر .

لمياء :

مجاملة أخرى أشكرك عليها. ولكنك لا تعرف كيف أعاني من المسألة . هناك أجيال جديدة

تقتحم الساحة من حولي دائما . كل بنت عمرها خمس عشرة سنة تصبح جاهزة لأن تكون عروسا . يعني يمكن أن تحل محلي، والرجال يفضلون البنات الصغيرات . وهكذا تشيخ الواحدة منا قبل أوانها لأن فرصها تتضاءل .

القنبع :

أظن أنك ارتكبت خطأ ما .

لمياء :

ما هو ؟

القنبع :

لم توحي لمن حولك أنك ممكنة .

لمياء :

ممكنة ؟

القنبع :

يعني .. أن يحس الرجال أنك أنثى طبيعية مستعدة في الوقت الملائم . الوضع الطبيعي أن ترغب كل امرأة في الرجال وأن يرغب كل رجل في النساء . أقنعيهم أنك طبيعية .

لمياء :

هذا الرخص لا أستطيعه .

المقنع :

ليس رخصا . هو تأكيد الهوية .

لمياء :

لم أفهم .

المقنع :

يعني أن يحس الرجل أنك امرأة .

لمياء :

وماذا أنا ؟ ما الخطأ في ؟ ألست امرأة ؟ ألا تراني امرأة ؟.

المقنع :

امرأة . امرأة . ولكن بعض النساء يردن أن يوحين دائما أنهن رجال . أي أن الرجال الآخرين لا يعنون لهن شيئا . وان اللقاء بالجنس الآخر لا يعنيهن . صحيح ان النساء بحاجة دائما الى شيء من التمنع . ولكن يجب أن لا يكون امتناعا أو مناعة . أقصد أن لا يوحي بالاستحالة .

ليـلـى :

لم أفهم .

المقنـع :

« بعصبية » يعني أن يحس الرجل القريب منك أن هذه المرأة ، اذا كانت في ظروف معينة ؛ يمكن أن تكون امرأة ممتعة وشهية وظريفة ولطيفة . وعندها يسعى هو لتأمين هذه الظروف : باللطف ، باستعراض القوة ، بالجو الرومانسي ، بالموسيقى ، بالمال ، بالجاه ، بالصداقة ، بالزواج .. لكل امرأة مفتاح .

ليـلـى :

وهذا المفتاح موجود دائما عند الرجل ؟

المقنـع :

طبعا . لأن حديثنا عن موضوع اللقاء بالرجل . ولكن لا تحملي المسألة أكثر مما تستحق . الرجل يتوهم أن المفتاح في يده . مع أن المرأة التي يعجبها الرجل تجعله يحس بذلك بطريقة خاصة وبحيث تجعله يحس أنه هو الذي يضغط عليها أو يورطها أو يستدرجها .

لميساء :

ولكن سوء الحظ يلعب دوره .

المقنع :

لا علاقة لسوء الحظ بالموضوع .

لميساء :

بل له كل العلاقة . أنا امرأة سيئة الحظ . سأقبل معك أنني لم أكن أعرف كيف أجتذب الرجل . ولم يعد من الممكن تغيير الأسلوب وسط هذا الجو الذي عشت فيه وكبرت فيه. صار عمري خمسة وثلاثين عاما . لا أستطيع الرجوع الى أسلوب المراهقات لا أستطيع أن أغير أسلوبي مع وليد الذي ظننته أنت . سيكون وضعي مثيرا للسخرية أو الاحتقار . حتى هو سيكون مفاجئا له . وقد يعتبرني رخيصة أو مبتذلة . كما أنه هو الآخر يبحث عن عروس صغيرة . لابد لي من البدء من جديد ولكن في جو مختلف . ولهذا سأهاجر.

المقنع :

وأين سوء الحظ في هذا ؟

لمياء :

هل هناك وضع يشجع على الاقتراب من المرأة أكثر من وجودها وحدها ليلا في غرفة نوم بلباس النوم ؟ هأنذا في هذه الحالة . وبدل أن يقتحم علي غرفتي رجل يستغل الفرصة يكون حظي رجلا مثلك مليئا بالعقد يبحث عن المال والحلي ويحدثني عن الملابس الداخلية والرجال الآخرين .

القنفع :

كأنك تعرضين علي شيئا .

لمياء :

أنا لا أعرض عليك أي شيء . ولكن أنت يجب أن يخطر لك ذلك .

القنفع :

أنت حذّرتني منذ أن دخلت .

القنفع :

طبعا . أنت قلت يجب أن يكون هناك تمنع .

القنفع :

ولكن .. أنا . لم آت من أجل ذلك .

لمياء :

أنت أحقر انسان صادفته في حياتي .

المقنع :

لأنني حافظت على شرفك ؟

لمياء :

لأنك جردتني حتى من امكانية الخوف على شرفي أو التفريط فيه .

المقنع :

أنا لم أفعل شيئا الا بناء على رغبتك .

لمياء :

لم تكن لدي رغبة في أن تأخذ نقودي وتعبث بملابسي .

المقنع :

أقصد ما يتعلق بك شخصيا .

لمياء :

ما يتعلق بي شخصيا ... ألم تقل منذ قليل ان من الطبيعي أن يفكر الرجل في المرأة وأن تفكر المرأة في الرجل ؟

المقنع :

صحيح .

لميـاء :

وها أنت وحدك معي وبيدك سلاحك .

المقنـع :

كيف غيرت رأيك ؟

لميـاء :

لم أغير رأيي . الوضع هكذا فعلا . أنا وأنت وحدنا .

المقنـع :

أنا لم آت من أجل هذا .

لميـاء :

لكن هذا توفر الآن .

المقنـع :

أنا لا أفهمك . اعذريني . يجب أن أذهب .

لميـاء :

مستحيل . لن أدعك تذهب .

المقنـع :

أرجوك .. أقبل يديك .. لا تعرضي نفسك علي بهذه الطريقة ..

لميـاء :

مجنـون ؟

المقنع :

اعتبريني مجنونا ، اعتبريني شاذا . اعتبريني ما تشائين .. لكن أرجوكِ .. توقفي عن عرض نفسك علي .

لمياء :

ربما كنت قاصرا أيضا .

المقنع :

ربما . اعتبريني كذلك أيضا . أنا فعلا لا أحب النساء .

لمياء :

كذاب .. سأرى الى أي حد ستقاوم . « تهم بخلع ملابسها » .

المقنع :

« يغير اسلوبه فورا ويتكلم بحزم » اسمعي. تستطيعين أن تلعبي هذه اللعبة مع غيري .

لمياء :

أية لعبة .

المقنع :

الغواية .. ثم التوريط .. ثم افشال كل شيء والتسليم للشرطة .

لميـاء :

دون توريط • تستطيع أن تقيدني الى السرير،

المقنـع :

الى أن يجدوك في الصباح ؟

لميـاء :

فيعرفون أنني تعرضت لهجوم •• وان كـل شيء ثم دون ارادتي •

المقنـع :

وسمعتك ؟

لميـاء :

لم أعد مهتمة بها • قلت لك انني سأسافر • فليقولوا ما يشاؤون • فليقولوا انها تعرضت لهذا الحادث وبعد ذلك لم تستطع البقاء •

المقنـع :

لا • أرجوك ، أنا لست من هذا النوع •

لميـاء :

يعني أنك ترفض •

المقنـع :

لصالحي ولصالحك •

لميـاء :

هل أنا قبيحة الى هذه الدرجة ؟

المقنـع :

بالعكس . جمالك مقبول . كما أنك بهـذا اللباس تبدين مثيرة للرجال .

لميـاء :

اذن ؟

المقنـع :

قلت لك .. لست من هذا النوع . اعذريني . سأذهب الآن .

لميـاء :

انتظـر .

المقنـع :

تريدين اطالة الحديث الى أن يفاجئنا أحد ؟

لميـاء :

صدقني . لن يفاجئنا أحد . أخي مسافر ولن يعود الا بعد أيام . وأنا أصلا لا يزورني أحد . انني أعيش وحيدة . وحيدة تماما . وها نحن في منتصف الليل . ليس هناك أي احتمال . تستطيع أن تتصرف وكأننا كنا على موعد .

المقنع :

لا أريد أن أضيف لأحزانك حزنا جديدا .

لمياء :

أوتحس بأحزاني ؟ أشكرك . أنت أول انسان يحس بأحزاني . أول انسان أكشف نفسي أمامه بهذا المقدار . على الرغم من قناعك وصوتك المستعار .. لقد وصلت الى الاختناق من أحزاني . لن تضيف لأحزاني شيئا .

المقنع :

ومع ذلك لا أستطيع . سأذهب .

لمياء :

اسمع . لقد استدرجتني حتى عرضت نفسي عليك . وها أنت ترفض . انك بهذا تهينني اهانة بالغة . أقسم لك أنك اذا حاولت الخروج بهذه الطريقة فانني سأصرخ حتى أجمع الحارة . وسأركض وراءك في الطريق الى أن يقبضوا عليك .

المقنع :

تركضين وأنت بهذه الحالة ؟

ليلاء :

حتى لو كنت عارية . هل أريك ؟ « تهم بالتعري » سأتعرى ثم أصرخ .

القنع :

يبدو أنك ستجبرينني على اطلاق النار .

ليلاء :

يجب أن تبتلى بجريمة قتل لكي تستحق الاعدام .

القنع :

هذا يعني أنك تريدينني أن أقيدك وأكمم فمك.

ليلاء :

جرب .

القنع :

ألست امرأة عجيبة ؟

ليلاء :

أنا امرأة عجيبة ؟ أم أنت رجل عجيب ؟ هل من المعقول ان تصادف امرأة في مثل وضعي دون أن يخطر لك أي شيء ؟ أنت تستحق الاعدام لهذا فقط وليس من أجل السرقة .

على أية حال سأواجه الفضيحة وأنت تواجه العقوبة التي تستحقها وكل منا لم ينل شيئا . ستدفع ثمن ما لم ترتكبه .

المقنع :

سأعيد اليك الأموال . « يلقي بالأموال على السرير » .

لمياء :

لا أريدها . ستحتاج الى ما هو أكثر من اعادة المال لكي تقنع الآخرين بأنك في منتصف الليل مع امرأة شبه عارية وأنت بريء من التفكير فيها . « تتجه الى النافذة » .

لمياء :

ماذا تفعلين ؟

لمياء :

سأصرخ وأجمع الناس .

لمياء :

مجنونة .. « يتقدم نحوها ويمسك بيدها فيلويها وراء ظهرها . تتأوه بغنج وتستسلم له بسهولة . يشدها ويلقي بها على السرير .

تقع بسهولة . يهم بالذهاب فتقفز نحو النافذة. يعود اليها ويمسك بها . تسد يدها الأخرى وتداعب جسده . تفاجأ . فتتطلع إليه مندهشة فيما يحاول أن يبعد جسده عنها . تتشجع أكثر وهي تزداد اقترابا . المقنع يتركها ويحاول أن يبتعد . لمياء تهاجمه. المقنع يريد الخروج. تمسك به عند الباب . يتعاركان . تنجح في شد قناعه ووشاحه فيتضح أن المقنع امرأة.»

« لمياء تتطلع اليه مشدوهة مفجوعة . الاثنتان واقفتان بصمت . لمياء تنفجر بالبكاء وترتمي على السرير . المرأة الأخرى تتطلع اليها بحزن . »

ستار

★ ★ ★

الفهرس

حكي السرايا ٥

الفصل الاول

الفصل الثاني

القنـــاع ٢٠٣

عنوان ، ممدوح ، حكي السرايا ، القناع ، مسرحيتان
الطبعة الأولى ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،
ص ٢٤٨ ، قطع ١٤ x ٢٠
مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق ـ ٢٠٠٠ ـ ١٢ ـ ١٩٩٢ م

هذا الكتاب

يضم هذا الكتاب مسرحيتين ركز المؤلف في المسرحية الأولى على استخلاص حقيقة أن ابن الشعب الحقيقي لا بد أن يلتصق بالوطن مهما علا جوهره الصدأ ، وأغرته عابرات الأمور وأن المحتل مهما طلى نفسه بطلاء حضاري فهو عدو للشعوب والحرية .

ويهدف في المسرحية الثانية إلى الكشف عن حالة إنسانية ، والوصول إلى النقيض الباطن الذي يخالف الظاهر وتحوي المسرحيتان الكثير من اللفتات الفنية واللغة فيهما سهلة بسيطة جميلة .

ثمن النسخة ١٠٠ ل.س في القطر
في أقطار الوطن العربي ١٤٠ ل.س

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق